الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون–تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية.
تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

موانئ المغرب الأوسط في العهد الزياني:
تطور في الوظائف الاقتصادية والحضارية
(633-962ه/ 1235-1554م).

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ.

من إعداد الطالبتين:
بعاج فاطمة
واصل حسينة

تحت إشراف الأستاذ:
د. كريب عبد الرحمان

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	المؤسسة الأصلية
أ.د. عليلي محمد	رئيسا	جامعة ابن خلدون–تيارت
د. كريب عبد الرحمان	مشرفا ومقررا	جامعة ابن خلدون–تيارت
أ. بورملة عربية	عضوا مناقشا	جامعة ابن خلدون–تيارت

السنة الجامعية: 1444 – 1445 ه / 2023 – 2024 م

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

[النحل آية:١٤]

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله جليل النعم باعث الهمم ذي الجود والكرم؛

والصلاة والسلام على خير البرية وأزكى البشرية محمد ابن عبد الله صلى الله على صحبه ومن والاه وعلى آلة ومن سار على دربه إلى يوم الدين. أما بعد سبحان القائل في محكم التنزيل «ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه" النمل (الآية19).

فالحمد لله والشكر لله أولا وأخرا؛

وامتثالا لقول النبي عليه الصلاة والسلام "من اصطنع إليكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد شكرتم فإن الله يحب الشاكرين " رواه الطبراني

في البداية نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان الى الأستاذ كريب عبد الرحمان على حسن إشرافه وتوجيهنا طيلة مدة انجاز هذا العمل.

كما نشكر السادة الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة على تحملهم عبء قراءة هذا العمل وتقييمه.

ونوجه أيضا كلمات شكر وامتنان لكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد ونخص بالذكر الأستاذ معاش أسامة الذي منحنا من وقته وعلمه فجزاه الله عن ذلك خير جزاء.

الإهداء

إلى من بلغ الرسالة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار؛

إلى من علمني العطاء دون انتظار؛

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار؛

أرجوا من الله أن يمد في عمرك وستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد (والدي العزيز)؛

إلى ملاكي في الحياة؛

إلى معنى الحب والحنان والتفاني؛

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل؛

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي؛

إلى شمعة متقدة تنير عتمة حياتي إلى من بوجودها اكتسب قوة ومحبة لا حدود لها إلى من جعل الله الجنة

تحت قدميها أساله أن يجعلها من ساكنيها (أمي الحبيبة)؛

إلى رياحين حياتي وسندي الدائم إخوتي وأخواتي؛

إلى كل من مد إلي يد العون والمساعدة وجعلوا لي نصيبا من وقتهم؛

إلى المربين الأفاضل الذين نهلت على أيديهم بواكر العلم والمعرفة إلى جامعتي الحبيبة التي جعلها الله لي فرصة

لطلب العلم بها وأخيرا إلى كل من علمني حرفا أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي

إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ص –ص	صفحات
ت	توفي
تح	تحقيق
تع	تعديل
تر	ترجمة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ع	عدد
م	ميلادي
ه	هجري

مقدمة

شهد المغرب الأوسط خلال تاريخه تعاقب عدة دويلات على حكمه تركت بصماتها في جميع الجوانب، ولعل الدولة الزيانية كان لها النصيب الأوفر من هذه الإنجازات نظرا لعدة عوامل ومؤهلات مكنتها من فرض وجودها سياسيا، ثقافيا، اجتماعيا وخاصة الجانب الاقتصادي نظرا لما احتوته وتمتعت به من موانئ مهمة اعتبرت كشريان حية للدولة الزيانية، والدارس لتاريخ المنطقة يشهد للتطور الاقتصادي والحضاري الذي زخرت به خلال فترة حكم الدولة الزيانية، لذا ارتأينا اختيار موضوعا موسوما ب: " موانئ المغرب الأوسط في العهد الزياني: تطور في الوظائف الاقتصادية والحضارية".

وتكمن أهمية موضوع الموانئ في وظيفتها الاقتصادية والحضارية للدول، فالأمم لا تقوم الا بالحضارة التي تنبع أساسا من العلم والاقتصاد والموانئ باعتبارها المحرك الرئيس للاقتصاد فلا ينبغي إهمال هذا الدور.

بل لا بد من البحث فيه وإبرازه من خلال الازدهار الذي عرفته الدولة الزيانية في جميع المجالات.

ومن بين أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

- أسباب ذاتية:

1- الرغبة في البحث أكثر في الجانب الاقتصادي والسياسي للمغرب الأوسط

- أسباب موضوعية:

1- ضرورة تسليط الضوء على الدور الريادي الذي قامت به موانئ المغرب الأوسط في المجال الاقتصادي والحضاري لأن أغلب الدراسات ركزت على الجوانب السياسية.

إشكالية الموضوع:

عرف المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية حركة تجارية كبيرة صاحبها بروز الدولة في الجانب السياسي عن طريق ربط العلاقات المختلفة وكذا الجانب الاجتماعي والثقافي وهذا راجع بالدرجة الأولى الى موقعها الممتاز وسواحلها التي تتربع على عدد كبير من الموانئ التي أخذت دور

الريادة في استمرارية قوة الدولة والمنطقة لأكثر من قرن، وفي هذا الصدد نطرح الاشكال التالي: كيف ساهمت موانئ الدولة الزيانية في تطور الحياة الاقتصادية والحضارية للمغرب الأوسط؟

وقصد التعرف على حيثيات الموضوع أكثر عززنا الإشكالية بطرح جملة من التساؤلات التالية:

1-كيف نشأت وتطورت الدولة الزيانية؟ وما هو واقعها الاقتصادي؟
2-ما مميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط والذي جعل منها منطقة متعددة الموانئ؟
3-ماهي أهم موانئ المغرب الأوسط؟
4-كيف كانت تصنيفات الموانئ وماهي تقنيات الملاحة البحرية؟
5-ماهي أهم الطرق التجارية التي تربط موانئ الدولة الزبانية بالدول المجاورة؟ وفيما تمثلت أهم صادرات وواردات المنطقتين؟
6-فيما تمثل الدور السياسي والاجتماعي والثقافي لموانئ المغرب الأوسط؟

وللإجابة عن الاشكال المطروح قمنا بدراسة الموضوع و لم شتاته وفق خطة منهجية مبنية على المادة العلمية التي توفرت لدينا، فجاءت المذكرة من مقدمة وفصل تمهيدي، تليه فصلين رئيسيين وخاتمة، وعلى هذا انتهت المذكرة إلى النحو التالي:

– **فصل تمهيدي بعنوان: المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية: الامتداد الجغرافي والمميزات الاقتصادية:** لخصنا في هذا الفصل الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط وخصائص ومميزات شريطه الساحلي، وكذلك نشأة الدولة الزيانية مع الوقوف على واقعها الاقتصادي من زراعة، صناعة وتجارة.

– **الفصل الأول والمعنون بـــ: موانئ المغرب الأوسط على العهد الزياني:** تطرقنا فيه الى تعريف الميناء وأصنافه، وعرضنا أهم موانئ المغرب الأوسط والعوامل المساعدة على نشاط هذه الموانئ من

عوامل طبيعية سياسية اجتماعية ساهمت في تطور دور الموانئ، إضافة الى أساليب الملاحة التي اعتمدها ربابنة حوض المتوسط والأخطار التي كانت تعترض التجار في رحلاتهم المختلفة.

– **الفصل الثاني جاء تحت عنوان: الأهمية الاقتصادية والحضارية لموانئ المغرب الأوسط:** ذكرنا فيه الأهمية الاقتصادية للموانئ، والعلاقات الدبلوماسية للدولة الزيانية، وعرجنا في الأخير الى الأهمية الثقافية والاجتماعية للموانئ، مع فهرست للملاحق وآخر للمحتويات، وخاتمة للموضوع عبارة عن مجموعة استنتاجات.

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف والتحليل من خلال جمع المعلومات والبيانات عن جغرافية الموانئ (السواحل)، مع ذكر العوامل المتحكمة في النشاط التجاري والعلاقات التي جمعت بين الضفتين الشمالية والجنوبية لحوض المتوسط في الفترة الزيانية.

الدراسات السابقة:

لقد تطلب انجاز هذا العمل العودة الى بعض الدراسات السابقة التي سلطت الضوء على الجانب الاقتصادي للدولة الزيانية ودور موانئها في تنشيط تجارتها وتأثير ذلك على مختلف الجوانب الأخرى ولعل أبرز هذه الدراسات نجد:

- أطروحة الدكتوراه للباحث علي عشي والتي جاءت بعنوان:" التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10ه/ 8-16م)"، وهي دراسة شاملة لجميع جوانب المغرب الأوسط في نظر كل من الجغرافيين والرحالة اعتمدنا عليها في الجزء الخاص بأهم الطرق والمساالك البحرية وكذا أهم موانئ المغرب الوسط والذي قدم لنا خرائط توضيحية لجميعها كل حسب الجغراافيين قمنا بالاستعانة بها.

- أطروحة دكتوراه للباحثة خلوط أسماء بعنوان:" الموانئ ودورها في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والاندلس من القرن(3ه-6ه/ 9م-12م)،والتي أفادتنا كثيرا في بحثنا هذا خاصة

في الجزء المتعلق أهم موانئ المغرب الأوسط وأساليب الملاحة في حوض المتوسط وكذلك المبادلات التجارية بين الدولة الزيانية والعالم الخارجي وهي دراسة مفصلة جدا في هذا الموضوع.

- رسالة ماجستير للباحثة بشاري لطيفة تحت عنوان:" العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن7 -10ه/ 13-16م"، وتعتبر دراسة هامة شملت مختلف المجالات من النظم والتي سهلت عملية التبادل التجاري الى ذكر اهم المراكز والطرق التجارية والعلاقات الداخلية والخارجية.

كما اعتمدنا على جملة من المصادر والتي تناولت موضوع البحث من قريب أو بعيد فكانت متنوعة بين التاريخية والجغرافية ومصادر الرحلة إضافة الى المراجع ذات الصلة بالموضوع.

المصادر:

1-كتاب وصف افريقيا لحسن الوزان أبو محمد الفاسي (957ه)، وهذا الكتاب هو عبارة عن وصف شامل لافريقيا الشمالية والغربية في القرن السادس عشر، يصف فيه الحسن الوزان الجغرافيا، الثقافات، المجتمعات، الاقتصاد والسياسة في المناطق التي زارها أو عاش فيها، والذي والذي نهلنا منه بعض المقتطفات عن الأسواق والمعاملات التجارية والمواد المتبادلة وبعض أسعارها والطرق والمسالك.

2-كتاب المسالك والممالك لابي عبد الله بن عبد العزيز البكري (460ه)، هذا الكتاب جغرافي يتناول الطرق والمسالك والممالك في العالم الإسلامي في القرن الحادي عشر، يقدم فيه البكري ـــأوصافا مفصلة للمدن والقرى والطرق التجارية بالإضافة الى معلومات عن السكان والعادات والتقاليد. استغلينا جزء المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب والذي أفادنا في التعريف ببعض مناطق ومدن المغرب الأوسط، وكذلك الطرق التجارية وبعض التعاملات في الأسواق.

3-كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبي (367ه)، يعد من أبرز الكتب الجغرافية الموثقة للقرن 4ه/ 10م، قدم فيه ابن حوقل معلومات عن المدن، الطرق، الأنهار، والمناطق الزراعية

بالإضافة الى وصف للعادات والتقاليد في مختلف المناطق، وقد أفادنا في وصف مناطق المغرب الأوسط.

4-كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد الشريف الادريسي (560ه)، يعد هذا المؤلف عمل جغرافي ضخم يعود الى القرن الثاني عشر يتضمن معلومات مفصلة عن المناطق الجغرافية المعروفة آنذاك، يحتوي الكتاب على خرائط ورسومات ويعد من أقدم الاعمال الجغرافية الشاملة، والذي أفادنا في وصف سواحل وموانئ المغرب الإسلامي خاصة الأوسط منها.

5-كتاب تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار لصاحبه ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (770ه)، الذي زار معظم بلدان المغرب وقدم صورة واضحة عن الجانب التجاري للمنطقة، وقد تجول مع قافلة تجارية بها تجار زيانيين الى بلاد السودان وكانت له قبلها رحلة الى المشرق برا والعودة بحرا مع تجار قطلونيين والتي اعتمدنا عليها.

6-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمان ابن خلدون (808ه)، هذا الكتاب عمل تاريخي وفلسفي تناول فيه ابن خلدون تاريخ العالم السلامي والعالم بصفة عامة، يتناول فيه ابن خلدون موضوعات عديدة منها السياسة، الاقتصاد، الثقافة والعمران، حيث اعتمدنا على الجزئيين السادس والسابع الذي وصف الحياة السياسية والاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط.

7-كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ليحيى ابن خلدون (780ه)، الذي عاصر بعض مراحل الدولة وعمل كاتبا للرسائل في ديوان أبو حمو موسى الثاني، أفادنا في الجزء الخاص بمراحل تأسيس الدولة الزيانية حيث ذكر كل مراحلها على انفراد.

المراجع:

1-عبد العزيز فيلالي تناول تاريخ كتاب "مدينة تلمسان في العهد الزياني، الذي تطرق الى الجوانب السياسية والثقافية للدولة الزيانية في جزئه الأول.

2-مختار حساني " تاريخ الدولة الزيانية"، اعتمدنا على الجزء الثاني الذي شرح وحلل الواقع الاقتصادي والثقافي للدولة الزيانية.

3-بشاري لطيفة" العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن7 - 10ه/ 13-16م، وتعتبر دراسة هامة شملت مختلف المجالات من النظم والتي سهلت عملية التبادل التجاري إلى ذكر أهم المراكز والطرق التجارية والعلاقات الداخلية والخارجية.

المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية: الامتداد الجغرافي والمميزات الاقتصادية.

المبحث الأول: حدود المغرب الأوسط وجغرافيته.

- جغرافية بلاد المغرب الأوسط.
- مميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط.

المبحث الثاني: الدولة الزيانية: النشأة والتطور.

- نشأة الدولة الزيانية.
- حدودها السياسية.

المبحث الثالث: المقومات الاقتصادية للدولة الزيانية.

- الزراعة والإنتاج الحيواني.
- الصناعة.
- التجارة.

للمغرب الأوسط تاريخ حافل بالأحداث ومسرح للعديد من الكيانات السياسية التي تعاقبت على حكم المنطقة، ولعل أبرزها كانت الدولة الزيانية لما تميزت به من أحداث سياسية وعسكرية ونظرا لما شكلته من قوة اقتصادية للمنطقة.

المبحث الأول: حدود المغرب الأوسط وجغرافية:

1-جغرافية بلاد المغرب الأوسط:

يعتبر المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون والرحالة في ضبط حدودها، فمصطلح المغرب الأوسط لم يكن له وجود في الكتابة الجغرافية قبل عصر البكري، إلا أن الجغرافيين والمؤرخين وضحوا حدود هذا المجال بالرغم من عمليات تمدده وتقلصه تبعا لحركة القبائل المستمرة.

وقد ذكرت المصادر وخاصة البكري أن حدود بلاد المغرب أو كما يسميها "افريقية" بقوله:" وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى مدينة طنجة الخضراء غربا"[1].

فيما يشير ابن خلدون" أن بلد زناتة التي تستقر في الإقليم بين الزاب شرقا وواد ملوية غربا وقاعدته تلمسان وهي دار ملكه، واعتبر المنطقة الشرقية الممتدة من الجزائر إلى بجاية ودواخلها بلاد صنهاجة تسكنها قبائل زواوة وكتامة وهوارة"[2]، مؤكدا بذلك أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، كما ضبط الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط الى ورجلان والصحراء في عهد بني حماد[3].

---

[1] . البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تح: حماد الله ولد سالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013/، ص94.

[2] . ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،

ج 6، تح: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988، ص134.

[3] . الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول الى القرن الهجري الخامس، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011، ص35.

أما الادريسي فقد اعتبر حسب قوله:" مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط" وأضاف بذكر تلمسان في قوله" ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي رصيف للداخل والخارج منها"[1]. فقد اعتبر المعيار السياسي أساسا في تحديد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط، وبالرغم من ذكره لمدينة تلمسان إلا أنه لم يدرجها ضمن مدن المغرب الأوسط.

وهذا ما يؤكده ابن سعيد المغربي في تقسيمه لبلاد المغرب إلى عدة أجزاء حيث وضح أن تلمسان تقع في الجزء الأول من مراكش وفاس والاندلس، أما المغرب الأوسط فيقع في الجزء الثاني وعاصمته بجاية وهو يمتد شرقا من مدينة قسنطينة أما بونة هي حد سلطنة افريقية الحفصية على الساحل، ومن مدن المغرب الأوسط في هذا الجزء يذكر: مستغانم، تنس، بني مزغنة[2].

كما يذكر عبد المنعم الحميري أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط وحده مع بلاد المغرب الأقصى هو تازا، كما أنه من جهة أخرى يقول إن تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط[3]، وبهذا فهو لم يحدد بدقة القاعدة الفعلية للمغرب الأوسط.

في حين يقسم الزهري الاندلسي أن بلاد المغرب ثلاثة اصقاع أو أقاليم او مناطق، وهي على الترتيب الذي أوردها عليه: افريقية، والمغرب الأقصى، والسوس الأقصى، ويبين لكل صقع القبائل التي وطنته ومدنه الساحلية فيذكر: أن الصقيع الأول هو افريقية وتسكنها قبائل البربر كصنهاجة، وزناتة وبرغواطه، ومن مدنها الساحلية: طرابلس، تونس، بونة، بجاية، جزائر بني مزغنة وبرشك.

---

[1] . لإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، تح: بورسعيد، (د ط)، مكتبة النفائس، (د ت)، ص260.

[2] . ابن سعيد المغربي، أبي الحسن علي بن موسى، الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص. ص 140-142.

[3] . الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، 1975م، ص. ص80-81.

وأما الصقيع الثاني فهو المغرب الأقصى ومن مدنه: تنس وهران وهنين وميلة[1]. ومن هنا نلاحظ أن الزهري لم يستعمل مصطلح المغرب الأوسط بل اكتفى بذكر المدن.

وكذلك ياقوت الحموي فقد قسم المنطقة إلى قسمين هما افريقية والمغرب، فيقول:" إن افريقية تمتد من برقة إلى بجاية أو مليانة، وأما المغرب فيمتد من مليانة إلى جبال السوس المحاذية للمحيط الأطلسي، والاندلس جزء منه[2].

أما حدود المغرب الأوسط عند أبي الفداء، فتمتد من وهران إلى آخر حدود مملكة بجاية.[3]

ومما سبق يظهر جليا تضارب الآراء في تحديد الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط بين المؤرخين والجغرافيين وهو يمثل حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي.

1- مميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط:

تمتع المغرب الأوسط بشريط ساحلي طويل ساعد على كثرة وتعدد موانئها، خصوصا وأنها توفرت على الكثير من الرؤوس والخلجان التي أهلتها ان تكون للقيام بدور بحري هام، فامتداد السواحل على شريط مهم دفع السكان نحو النشاط البحري والتجاري، بالإضافة الى غنى المنطقة بغابات تزخر بمختلف أنواع الخشب من أجل صناعة المراكب.[4]

---

[1] . الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافيا، تح: محمد حاج صادق، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، (د ت)، ص.107-117.

[2] . الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج1، (د ط)، دار صادر، بيروت، 1977، ص288.

[3] . أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، (د ط)، دار صادر، بيروت، 1830، ص 132

[4] . علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره على التجارة والمواصلات (2-10ه/ 8-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2016/ 2017م، ص38.

ويمتد الشريط الساحلي للمغرب الأوسط على مسافة تقدر ب 1200 كلم مربع. من مرسى الخزر إلى مرسى تابجريت[1]. ورغم ضيقه إلا أنه يتوفر على مظاهر متباينة ساهمت في توفير جو حسن للملاحة البحرية.

وعلى العموم يتميز الشريط الساحلي للمغرب الأوسط بتعرجه وذلك نتيجة طبيعته الصخرية الصلبة، إضافة الى تعدد الخلجان كما ذكرنا، رغم صغرها باستثناء خليج بونة الذي يعتبر من أكبر خلجان المغرب الأوسط[2]. التي تنتهي جوانبها برؤوس داخلة في البحر، إضافة الى طغيان الطابع الجبلي على كامل سواحل هذا الإقليم الذي اتخذ فيه السكان ملاجئ طبيعية خلال مختلف الفترات الوسيطة[3].

كما أنه تشكلت امام المغرب الأوسط عدة جزر نظرا لطابعه الجغرافي، قد أشار اليها العديد من الرحالة والجغرافيين مثل جزيرة لمزمة، وجزيرة ارجكوك، وجزائر بني مزغنة، وجزائر الحمام[4].

وقد كانت سواحل المدن تتعرض للغارات الخارجية ويسهل على العدو اقتحامها مالم تكن محصنة، وفي ذلك يفرد " البكري" عنوانا خاصا للحصون وذكر العديد منها والتي كنت تتركز على الشريط الساحلي ويبدأ بحصن "آسلن" وهي شرقي مدينة "ارشقول" وهي مدينة حصينة عليها سور صخر عال منحوت من كل النواحي، وحصن: مرنسيه" وحصن" بني زيني".

والفارق بينهما ثلاث أميال قرب ساحل وهران، وهما حصنان حصينان وعلى بعد ميلين "حصن الفروس" وعلى بعد ميلان حصن" الوردانية"، وعلى بعد أربعة أميال حصن "هنين" وهو على مرسى جيد مأمون وعليه حصنان ورباط وهو بالقرب من مدينة ندرومة التي يذكر عنها أنها

---

[1] . مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تص: محمد الميلي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص48.

[2] . عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1968م، ص41.

[3] . علي عشي، المرجع السابق، ص39.

[4] . ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص. ص 78-79.

مسورة، وهي تذكر ضمن الحصون بالإضافة إلى حصن " تاونت" وهو حصن منيع في جبل منيف قد أحاط به البحر من ثلاث جهات[1].

كما تتميز سواحل المغرب الأوسط بوجود الرؤوس والتي تتميز بضخامتها ووعرتها وتقدمها في البحر مما ساهم في شدة تعرج الساحل، ومنها: رأس الحديد، ورأس بوقعرون، إضافة الى رأس كاربون، وطرف بني جناد، وتسمى هذه الرؤوس بسيوف البحر[2].

يبدو أن الطبيعة الجبلية هي السمة الغالبة على تضاريس ساحل المغرب الأوسط، مما ساهم في تقطع الشواطئ او تحولها من شواطئ رملية الى شواطئ صخرية، يكمن دورها الإيجابي في كونها تقلل من سرعة الرياح وكذلك جعلت من مراسيها مراس آمنة مثل ما هو الحال بالنسبة لمرسى وهران، بينما ضيقها وكونها ذات طبيعة صخرية جعل منها ذات الدور السلبي[3].

مما يلاحظ كذلك أن الجبال جعلت من السهول متقطعة وبالتالي ساهمت في تنشيط التجارة والتبادل بين المناطق خاصة الحبوب والفواكه، وقد أسهمت المصادر في ذكر ووصف هذه السهول كسهل متيجة، سهل تنس، كما توجد بساحل المغرب الأوسط شبكة مائية متنوعة من أودية مثل واد الشلف، وبحيرات مثل بحيرة بونة[4].

من خلال هذا كله نستنتج أن ساحل المغرب الأوسط بمميزاته المختلفة من أشكال تضاريسية متباينة من جبال وسهول وخلجان ساهم في جعله منطقة تجارية بامتياز سواء تعلق الامر بالموانئ المختلفة أو بما تنتجه وتقوم بتصديره المنطقة نحو باقي المناطق من العالم خاصة نحو أوروبا.

[1] . البكري، أبو عبد الله، المسالك والممالك، تح وتق: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992م، ص. ص 749-750.

[2] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[3] . علي عشي، المرجع السابق، ص39.

[4] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

المبحث الثاني: الدولة الزيانية: النشأة والتطور:

نتيجة ضعف وتراجع قوة الدولة الموحدية برزت بعض القوى على الساحة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي فظهرت ببلاد المغرب الأدنى الدولة المرينية، أما ببلاد المغرب الأقصى الدولة المرينية وكذلك الدولة الزيانية التي اتخذت من المغرب الأوسط موطنا لها.

1-نشأة الدولة الزيانية.

تعرف هذه الدولة بدولة بني عبد الواد[1] نسبة إلى قبيلة بني عبد الواد أحد بطون قبيلة زناتة[2]، كانت مواطنهم ما بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا، وهم من أهل البربر برا دون الصحراء[3]. ولم يزالوا كذلك إلى أن فتح الموحدون المغرب الأوسط فكانوا عونا لهم فاقطعوهم عمالة بلاد بني لومي[4] وبني ومانوا[5] ونواحي الشلف واستقروا هناك بأحواز

[1] . عبد الواد: أصله عبد الوادي وهو صفة لجد لهم كان يتبتل بواد هناك. ينظر: ابن خلدون، يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد لحميد حاجيات، ج1، ط خ، الجزائر، 2011م، ص 207.

[2] . بني لومي: من قبائل البتر البربرية ويرجع النسابة أصلها إلى نتانة أرجانا بن يحي بن صولات بن ورناك بن ضرى بن تحييك بن مادنيس بن بر وكانوا عدة فروع إضافة الى بني عبد الواد، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص. ص4-12.

[3] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ لجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص125.

[4] . بني ومانوا: استقروا على الضفة الغربية لواد ميناء لبطحاء وسيق وسيرت وجبل هوارة وجبل بنو راشد. ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 117.

[5] . ينسبون الى زناتة وكانت مواطنهم شرق وادي ميناء بمنداس أسفل شلف ويقطن بعضهم قصور توات. ينظر: نفسه، ج7، ص204.

تلمسان، وقد حازوا ثقة الموحدين بفضل بطولاتهم وشجاعتهم. وبعد تفكك الدولة الموحدية وتراجعها قام من بني عبد الواد القائد يغمراسن بن زيان[1] وأعلن نفسه أميرا على تلمسان عام 635ه/1235م متخذا من تلمسان العاصمة[2].

وقد مرت الدولة الزيانية في تاريخها منذ نشأتها الى غاية سقوطها على أربعة أدوار هي كالتالي:

- **الدور الأول: دور النشأة (633ه-706ه/ 1235م-1306):**

يبدأ هذا الدور منذ تولي السلطان يغمراسن الحكم الى نهاية الحصار المريني الطويل على مدينة تلمسان سنة 706ه/1306م، حيث تناوب على حكم تلمسان خلال هذا الدور ثلاث سلاطين، أولهم السلطان يغمراسن مؤسس الدولة.

عمل السلطان يغمراسن بداية الأمر على تحصين بلاده واحاطتها بما يدرأ عليها العدو فجاء بقبيلة بني عامر العربية من صحراء بني يزيد وأقطعها نواحي وهران وتلمسان وكانت له بذلك خير وقاية من خصومه المعتمين في بجاية، كما جاء كذلك بقبيلة حميان الهلالية فأقامها بصحراء تلمسان فكانت له حصنا منيعا من بني مرين، وأسكن فريقا من عكرمة بجبل كركرة قبلة " السرسو".

بعد تأمينه لحدود تلمسان قام السلطان يغمراسن بتوسيع سلطة تلمسان بالمغرب الأوسط وذلك من خلال إخضاع القبائل العربية والبربرية لسيادة تلمسان بدءا من أبناء عمومته بني مطهر وبني راشد اللذان أخذ منهما البيعة لنفسه عام 633ه-1235م[3].

---

[1] . يغمراسن بن زيان: هو أبو يحي يغمراسن بنو زيان بنو محمد عبد الوادي، أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، ولد سنة (603ه-1206م) كان شجاع حليما، توفي سنة (681ه-1283م)، ينظر: ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة، مصر، 2010، ص25.

[2] . نفسه، ص13.

[3] . ابن خلدون، يحيى، المصدر السابق، ج1، ص226.

حارب يغمراسن القبائل المتمردة على تلمسان كقبائل توجين ومغراوة والتي كانت تسبب المشاكل مع الدول المجاورة بسبب استنجادها بها ضد تلمسان كما حدث سنة 640ه-1246م، عندما استنجدت مغراوة وتوجين بالدولة الحفصية ضد الزيانيين بتلمسان الامر الذي دفع يغمراسن الى اخضاع هذه القبائل[1].

كما أخضع بعض المدن لسيادة تلمسان كمدينة وهران وسجلماسة سنة662ه-1263م، ومدينة مليانة668ه-1268م، ومدينة تنس سنة 681ه-1282م.

توفي يغمراسن بن زيان برهيو من الشلف في ذي القعدة سنة 681ه وخلفه بعده ابنه أبو سعيد عثمان الذي عمل على توسيع ملكه فأخذ من ملك تجين وانتزع الونشريس ووضع عليه قبيلة جشم العربية بعد أن كان يعتبر مركزا لقبيلة توجين، وأخضع قلعة أولاد سلامة من مركز بني يدللن من قبيلة توجين.

كما عمل السلطان عثمان على إخضاع باقي المناطق فأخضع مدينة تنس سنة 682ه-1287م التابعة لقبيلة توجين وحصن تافركينت ومدينة المدية الساحلية سنة 688ه-1289م ومدينة برشك سنة 693ه-1294م[2]، وفي سنة 686ه-1287م حاول الزيانيون ضم تلمسان وطرد الحفصيين منها إلا أن محاولاتهم فشلت واستمر بنو زيان تابعين للحفصيين و لم يستطيعوا التوسع نحو الشرق بسبب علاقة المصاهرة التي تمت بين الأمير الحفصي صاحب بجاية الذي أعطى ابنته لبنو زيان[3].

[1] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص125.

[2] . نفسه، ج2، ص. ص126 -127.

[3] . يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، (د ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص60.

انحسرت الدولة الزيانية خلال هذا الدور داخل أسوار تلمسان بسبب قيام السلطان المريني يوسف بن يعقوب بغزو مدينة تلمسان وفرض الحصار عليها سنة 698ه-1299م، وأسس مدينة المنصورة او كما سماها ابن خلدون المنصورية[1]، تيمنا بالنصر واتخذها معسكرا للجيش[2].

- **الدور الثاني: دور التوسع: (706ه-737ه/ 130م-1338).**

تتمثل أحداث هذا الدور من نهاية الحصار المريني الى سقوط الدولة الزيانية بيد المرنيين سنة 737ه-1338م، وتعاقب على حكم الدولة خلال هذا الدور ثلاث سلاطين على التوالي هم السلطان محمد أبو زيان الذي استلم الحكم بعد وفاة والده السلطان عثمان سنة703ه، وخلفه من بعده شقيقه السلطان أبو حمو موسى الأول، ثم خلفه ابنه السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان الأول حتى سنة 737ه.

بدأ هذا الدور بفرض سيطرة الدولة الزيانية من جديد على المناطق التي خسرتها بعد الحصار المريني الطويل، فبدأ السلطان محمد أبو زيان بإعادة سلطة تلمسان على المدن داخل المغرب الأوسط فاستولى على ارجاء الشلف وقبائل توجين[3].

استلم أبو حمو الحكم بعد وفاة شقيقه السلطان أبو زيان وأعاد بذلك للدولة الزيانية مجدها بعد عشرية تقريبا من الهيمنة المرينية التي كادت أن تطيح بالعرش الزياني[4]. وأعاد اصلاح المدينة وقام بتوسيعها واعادتها على ما كانت عليه سابقا' حيث استمر في سياسة إخضاع القبائل لسيادة تلمسان فأخضع قبيلة توجين سنة 710ه-1310م، واستولى على منطقة جبل ونشريس وحصن

[1] . ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر، مصدر سابق، ج7، ص340.

[2] . ابن الأحمر، المصدر السابق، ص27.

[3] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص132.

[4] . عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني دراسة (سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج1، (د ط)، فوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022م، ص 40.

تافركينت اللذان اخذا من تلمسان أيام الحصار، ووضعت تلمسان يوسف بن حيون قائما على المنطقة لضمان ولائها[1].

وفي سنة 712ه-1312م توسع أبو حمو شرقا على حساب الحفصيين واستطاع ضم مدينة الجزائر بعد أن استسلم أميرها ابن علان له[2].كما احتل بلدة تدلس وخضع لها أميرها ابن خلوف[3].

استمر ضغط تلمسان على المناطق الشرقية في عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان الأول حيث عمل على وجه نظره نحو الشرق والإلحاح بغزو بلاد الموحدين فأغزاها بجيوش، كما قامت السلطة الزيانية في هذه الفترة ببناء الحصون والقلاع والقصور على الطريق نحو المناطق الشرقية باتجاه الدولة الحفصية وبالأخص بجاية لتساعدها على فتح المنطقة ومن أهم تلك الحصون حصن بكر سنة721ه-1322م وحصن تافريردكت سنة 726ه-1327م[4]. وبذلك انتهى ضغط تلمسان على الحدود الشرقية بدخول الزيانيين الى تونس العاصمة الحفصية سنة 730ه-1331م[5].

ونتيجة لهذا التوسع ظهر تحالف حفصي مريني ضد تلمسان وتمكن السلطان أبو الحسن المريني من حصار تلمسان من سنة 735ه-737ه/ 1336م-1338م[6].

---

[1] . ابن الأحمر، المصدر السابق، ص29.

[2] . عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ" من ما قبل التاريخ الى 1962م"، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص162.

[3] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص133.

[4] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني 633ه-926ه/ 1235م-1555م، مذكرة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2002م، ص. ص 70-71.

[5] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص136.

[6] . محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011م، ص76.

- **الدور الثالث: دور النهضة (737ه-791ه/ 1338م-1389م)**

في هذه المرحلة تم إعادة احياء الدولة الزيانية بداية على يد الاميرين الشقيقين أبي سعيد وأبي ثابت بعد هزيمة السلطان أبي الحسن المريني في معركة القيروان سنة 749ه-1348. ومن مميزان هذه الفترة:

- اختلاف نظام الحكم عن الأدوار السابقة حيث تولى الحكم شخصان في آن واحد وهما الشقيقان أبو سعيد وأبو ثابت[1].
- استقلال تلمسان بشكل كامل عن نفوذ الدول المجاورة سياسيا اذ كان السلطان أبو سعيد لا يلتزم بالولاء لأحد.
- اختلاف الفرع الزياني الذي حكم تلمسان في هذا الدور عن الذين حكموا في الأدوار السابقة، فالسلطان أبو سعيد وشقيقه يعودان الى نسل الأمير ابي يعقوب بن يحيى بن يغمراسن والى السلطان عثمان بن يغمراسن.
- ظهور دور القبائل العربية والبربرية في إعادة تلمسان للحكم الزياني[2]

في هذه الفترة تمكن الشقيقين من إعادة سيطرة بني عبد الواد على ندرومة، وهران، مازونة، تنس، المدية، وعاصمة المغراويين مليانة وبرشك[3].

أما المرحلة الثانية من هذا الدور تبدأ بتولي أبو حمو موسى الثاني سدة الحكم سنة760ه-1359م، حيث انتزع وانشريس ومغراوة ومازونة وتنس وبرشك[4]. واهتم هذا الأخير بإعادة المدينة لسابق عهدها كعاصمة زيانية. فدخلت بعض المدن في طاعة تلمسان طوعا ويذكر ذلك ابن خلدون:" وفد على بابه الكريم أهل ندرومة وأهل وجدة وأهل هنين ببيعاتهم... ووفود الهناء على

[1] . ابن الأحمر، المصدر السابق، ص33.

[2] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص. ص 72-73.

[3] . يحيى بوعزيز، المرجع السابق. ص227.

[4] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص. ص154-155.

بابه من العرب العامرية والمعقلية... ووصلت بيعات مستغانم تغز عران والبطحاء من حواضر القطر"[1].

بينما رفضت بعض المدن والقبائل الدخول تحت سيطرة تلمسان طواعية فأرسل السلطان جيوشه لإخضاعها فأخضع مدينة وهران ومدينة تنس ومليانة ومتيجة. ودخل مدينة المدية سنة 760ه-1359م، ومدينة الجزائر 762ه -136م بعد اتفاق مع المرنيين على الانسحاب منها، ومدينة تدلس سنة 776ه-1375م[2].

لقي السلطان أبو حمو موسى الثاني خلافات مع الأمير محمد أبي زيان والتي نتجت عنها آمال للمرنيين في القضاء على أبو حمو موسى الثاني وسلطانه. تم القضاء على هذا الخلاف لكن سرعان ما ظهر على الساحة الأمير أبي تاشفين الذي خرج عن والده والذي أدى الى مقتله في غرة من شهر ذي الحجة سنة 791ه-1389م في نحية القيروان[3].وبهذا ينتهي هذا الدور الذي عرفت فيه تلمسان على قدر من التطور والازدهار فقد صاحبته حدة الخلافات والمشاكل حكم الدولة.

- **الدور الرابع: الانحدار والسقوط (791ه-962ه/ 1390م-1555م):**

بدأ بتولي أبو تاشفين الحكم بعد أن تغلب على أبيه بمساعدة المرنيين الذين بقي تابعا لهم[4].وقد عرف هذا الدور تراجع لسلطة الدولة الزيانية وضعفها وتقلص سيادة تلمسان وتبعية السلطان الزياني إلى نفوذ الدول المجاورة المرينية والحفصية وكذا ازدياد نفوذ القبائل العربية على تلمسان.

[1] . ابن خلدون، يحيى، المصدر السابق، ج2، ص39.
[2] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص74.
[3] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص. ص 158-163.
[4] . ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر، مصدر سابق، ج7، ص300.

بذل بعض سلاطين هذه الفترة أمثال السلطان أبي مالك وأبي الحمرة جهودا كبيرة لإبعاد تلمسان عن نفوذ الدول المجاورة إلا أن الأطماع والانشقاقات كانت لهم العدو الأكبر بحيث اضعفت قوتهم ومكنت الأعداء من السيطرة على مدينتهم وعلى المنطقة، وفرض شروط الصلح على المدينة كما حدث مع السلطان احمد العاقل من قبل الدولة الحفصية عام871ه-1468م[1].

كما ضعف أمر السلطان في هذه المرحلة حتى أصبح بعضهم يحكم لأيام وشهور كما حدث مع السلطان أبي زيان الثالث الذي حكم لعدة أسابيع فقط. واستمرت تلمسان والدولة الزيانية بالضعف وفقدان أراضيها وسلطتها شيئا فشيئا الا ان انتهت على يد الوالي العثماني صالح الريس سنة 955ه-1555م[2].

2-حدودها السياسية:

يقول الحسن الوزان عن حدود الدولة الزيانية التي يدعوها بمملكة تلمسان يحدها وادي ونهر ملوية غربا والواد الكبير (الصمام) وصحراء نوميديا جنوبا، وكانت تسمى قديما قيصرية عندما كانت خاضعة لسيطرة الرومان.

وهي بذلك تمتد من الشرق الى الغرب حوالي ثلاثمائة وثمانين ميلا وتضيق كثيرا من الشمال والجنوب أي بين البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومي) والصحراء لتصل في بعض الأحيان الى خمس وعشرين ميلا والقسم الجنوبي منها واقع في منطقة جافة أي على أطراف الصحراء والقسم الشمال يطل على سهول واسعة[3].

---

[1] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 76.

[2] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص229.

[3] . حسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج2، ص. ص 7 -8.

أما المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي فيذكر امتداد المملكة الزيانية غربا إلى مدينة وجدة وتبلغ في بعض الأحيان شرقا الى اعمال قسنطينة ودلس وبجاية وهي بذلك تسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسيها ومزاحميها من بني حفص وبني مرين بينما بلغت حدودها الجنوبية الغربية إلى سجلماسة – تافيلالت-.[1]

المبحث الثالث: المقومات الاقتصادية للدولة الزيانية:

يعد الجانب الاقتصادي الوتر الحساس لأي دولة ورمز قوتها فهو يقدر مدى ثرائها ويحدد طبيعة علاقاتها السياسية المنبثقة بالدرجة الأولى من العلاقات التجارية القائمة، ولاريب ان قوة الدولة سياسيا يرجع الى تطورها الاقتصادي سواء الصناعي، الزراعي وحتى التجاري.

1-الزراعة والإنتاج الحيواني:

أ. الزراعة:

اهتمت الدولة الزيانية بقطاع الزراعة اهتماما بالغا لا لشيء انما لتقدم هذه الحرفة عن غيرها كما يصفها ابن خلدون بقوله:" أنها حرفة بسيطة لا تحتاج إلى نظر أو علم[2]". وقد شجعت هذا المجال بشتى الطرق إذ قامت بشق القنوات المائية مثل ساقية النصراني وبناء الخزانات.[3]

---

[1] . عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص121.

[2] . ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص301.

[3]. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد، البستان في اخبار علماء واولياء تلمسان، ج2، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1986، ص137.

كما ساعدت العوامل الطبيعة في نمو هذه الحرفة من خصوبة للسهول، فقد اشتهرت سهول سلاتة بوهران بخصوبتها الفائقة وانتاجها الوفير فكانت تنتهي في الزوج الواحد إلى أربعمائة مد كبير بالإضافة الى سهول مستغانم الخصبة والجيدة[1]، نجد سهول مليانة التي وصفها العبدري بالبلدة الخصبة[2].

إضافة إلى العامل الطبيعي المتمثل في خصوبة التربة لا ننسى عامل المياه فبلاد المغرب الأوسط خاصة تلمسان تتوفر على منابع المياه من الانهار والعيون الغزيرة مثل عيون بوريط التي كان يجلب منها الماء إلى المدينة منذ القدم كما يوجد نهر سطيفسف[3].

نظرا لوفرة العوامل المساعدة على نمو هذه الحرفة فقد اشتغل سكان المنطقة بالزراعة، حتى ان بعض العائلات اشتهرت بالفلاحة مثل ابن مرزوق الذين كانوا اهل صلاح ووعاظ بالدين لكن رغم ذلك اشتغلوا هذه الحرفة، كما استقطبت كذلك أكبر عدد من الشباب ومثلت سبيلا هاما من سبل الرزق وهي النشاط الغالب وهذا ما جعل دنيس بوليم يقول:" ان للفلاح مجالا يكاد يكون مساويا أو مطابقا تماما للمجال الذي انتشر فيه الإسلام ومن هذا تكاد كلمة فلاح لا تنفصل عن كلمة إسلام"[4].

أما عن الإنتاج الزراعي فقد تنوع بتنوع الظروف الطبيعية من أمطار ونوعية التربة ووجود لمصادر المياه فنذكر على سبيل المثال لا الحصر الحبوب وخاصة القمح الصلب والذي كانت تتركز زراعته حول تلمسان في سهل تسالة الذي كان يوفر وحده تقريبا حاجة سكان المدينة، وكذلك

---

[1] . حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص32.

[2] . محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، (د ط)، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة–الجزائر، 2007، ص47.

[3]. سفسطيف: نهر تلمسان ينبعث من أسفل جبل بغل ويصب في بركة عظيمة ثم ينشف ويصب في انهار كثيرة ثم ينحدر الى البحر، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 38.

[4]. Denise paulume, les civilisations, 6eme Edition presse universitaire de France, paris, 1974- p 102

سهل البطحاء حول وادي سيق وسهل تنس وسهل متيجة الذي يفيض إنتاجه بتخزين بعض الكميات لوقت الحاجة وبتخصص نحو التصدير الى الاندلس وغيرها من المدن،[1]، أما عن زرعة الفواكه فقد كانت تنتج تلمسان أنواع كثيرة من الفاكهة فالعناب على رأسها حيث يصفها حسن الوزان بقوله :" تنتج اعنابا من كل الأنواع ذات الألوان الرائعة وكرز من كل نوع وتين شديد الحلاوة اسود اللون كبير الحجم طويلا جدا يجفف ليأكل في فصل الشتاء"[2].

ب. الثروة الحيوانية:

تشير الدراسات الحديثة ان أراضي الدولة الزيانية كانت في فترة من فترات تاريخها مرتعا ومرعى لمختلف الحيوانات وخاصة الغنم والحمير والخيل وتزاول من طرف القبائل التي توجد مضاربها ضمن محيط الدولة مثل بني توجين الذين كانوا ينتقلون مع مواشيهم ضمن المنطقة المحصورة ما بين جبل السرسو ومنطقة الزاب[3].

وقد كانت تربية المواشي تتماشى جنبا إلى جنب مع حرفة الزراعة وما زاد من تربيتها بالمنطقة أنه خلال عهد الدولة الزيانية أصبحت مواطن لبني هلال الذين أعطوا أهمية كبيرة لتربية المواشي لحد الآن وعلى الخصوص الابقار والخيول كما هو الحال بقلعة بني راشد والتي لا تبعد كثيرا عن تاهرت ووهران والتي قال عنها الادريسي:" وهران السمن فيها موجود والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير".

أما عن تربية الخيول فقد اشتهرت تربيتها وقد كانت مزدهرة بسبب تزايد الطلب عليها من قبل تجار أوروبا فالحسن الوزان يذكر انها كانت بإيطاليا ونعرف بالخيول البربرية، كما كانت تشكل الهدايا المفضلة لدى الملوك المسلمين في المشرق والمغرب ومنها هدية المرنيين الى الممالك بمصر وخاصة بعد سيطرتهم على أراضي الدولة الزيانية خلال عهد السلطان يوسف أبي يعقوب

[1] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[2] . حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 20.

[3] . مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاقتصادية والاجتماعية)، ج2، ط9، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص32.

وأبي الحسن المريني، مما يجعلنا نؤكد على انها جزء هام من إنتاج القبائل التي كانت تابعة للدولة الزيانية[1]

وفيما يخص تربية الأبقار فقد كثرت تربيتها بالمناطق الشمالية من بلاد المغرب الأوسط حيث المراعي الدائمة الخضراء وعن المناطق المنتجة لها نجد جزائر بني مزغنة وبونة[2]، والواضح أن أغلب أراضي الدولة الزيانية خاصة حول المدن كتلمسان ووهران وبني راشد ومستغانم كان سكانها يهتمون بتربية الابقار لوفرة الكلأ بتلك المناطق.

2-الصناعة:

إن المصادر التي تحدثت عن هذا المجال قبل ظهور الدولة الزيانية لم يعطوا اهتماما بالغا لذكر اهم الصناعات رغم أن تلمسان عرفت الصناعة قبل ظهور هذه الدولة هذه الأخيرة التي كانت ضابطة لأمور الصناعة من خلال انشاء المراكز الخاصة وأصبح الصناع طبقة مميزة في تلمسان لهم أسواقهم ولباسهم وهذا يدل على كثرة العاملين بالصناعة على عكس الفترات السابقة، وهذا ما يوضحه ابن خلدون في كتابة بغية الرواد في قوله: «اشتملت على القصور الفائقة والمصانع الرائعة"[3]. وقد انتشرت صناعات عديدة منها صناعة القماش من الصوف والحرير والكتان والقرميد ولخزف والفخار وبعض الخيل والفروسية[4].

ومن المدن التي ازدهرت فيها الصناعة مدينة هنين التي قال فيها مرمول:" يصنع سكانها أشياء متقنة ومن بينها الأواني الفخارية التي نجد بعض بقاياها في الاثار الباقية المبعثرة في أرجاء المدينة القديمة"، يضاف اليها صناعة المنسوجات لأنه ذكر بان هنين تصنع فيها اقمشة جميلة ومنسوجات

[1] . نفسه، ج2، ص. ص35-38.

[2] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص. ص 77-78.

[3] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 186.

[4] . نفسه، ص 187.

من القطن[1]. أما شرشال فشجعوا صناعة الحرير بغرسهم لأشجار التوت على ضفاف وادي الزعفران، أما مليانة فكانت هي الأخرى من بين المراكز الصناعية في صناعة المنتوجات الحريرية وعلى الخصوص الجوخ[2]. ونجد الحسن الوزان يؤكد ذلك بقوله:" الصناع معظمهم من الصباغين، كما ان تلمسان كانت مشهورة بصناعة المنسوجات التي وصلت شهرتها اغلب ارجاء العالم الإسلامي وعلى الخصوص الكساء المعروف بالسفساري"[3]. ومن بين الأشياء أيضا التي صنعت في تلمسان نجد المعاطف الصغيرة والكبيرة الرفيعة جدا على انه يوجد منها ما يزن عشر أولف، كما انتشرت صناعة الجلود والتي لعب فيها الأندلسيون دورا كبيرا وكانت تباع الأحذية في الأسواق التابعة للدولة الزيانية[4]، كما عرفت المدينة صناعة الفخار وكانت توجد بها اقران خاصة بالفخار إضافة الى صناعة مواد البناء الذي تطور في عهد الدولة الزيانية لوفرة الايدي العاملة سواء من الاندلس أو الأوروبيين كما يذكر ابن خلدون :" أن سلاطين الدولة الزيانية فقد استعانوا بالأندلسيين لبناء المشاريع العمرانية خاصة في عهد السلطان أبو موسى الثاني وكذلك السلطان أبو تاشفين الأول "، بالإضافة إلى الصناعات الخشبية المتمثلة في صناعة الأسرة والخزائن والصناديق والأبواب والنوافذ، وكذا صناعة الحديد لحاجة الدولة إلى صناعة الأسلحة وغيرها من الأدوات[5].

3-التجارة:

ازدهرت الحركة التجارية ونشطت في الدولة الزيانية وقد مثلت الأسواق مراكز تجارية عاكسة للحياة الاقتصادية وعنوان نشاطها التجاري والصناعي وحتى الاجتماعي.

---

[1] . مرمول كربخال، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي واخرون، (د/ط)، الجمعية المغربية للترجمة والنشر، 1988، ص. ص 296-300.

[2]. مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص87.

[3] . حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص56.

[4]. مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص. ص 86-93.

[5] . نفسه، ج2، ص. ص 95-98.

وكان لكل سوق وقت محدد لانعقاده ونوع السلع التي تباع فيه، كما انتشرت الأسواق الأسبوعية والموسمية في المدن والبوادي مثل سوق بوجمعة يعقد كل أربعاء بمدينة تلمسان، وسوق بني راشد الذي خصص لبيع المواشي والحبوب والزيت والعسل والسروج والمنتوجات، وعرف كل سوق حسب السلع التي تباع فيه مثل سوق الخزارين، سوق النحاسين، سوق العطارين، سوق الفواكه، من مظاهر نشاط الأسواق كثرة البيع والشراء وحتى الصغار على المساهمة في إقامة الأسواق[1]، كما تشير الدراسات إلى رواج بعض الأسواق المتخصصة في بيع العبيد السود في مدينة تلمسان فئة التجار الأجانب[2].

يظهر لنا جليا مما سبق أن الدولة الزيانية كغيرها من الدول تعددت الحياة الاقتصادية بها وتنوع انتاجها وذلك لتعدد الموارد بها سواء موارد زراعية كالسهول أو وفرة مصادر المياه، كما اشتهرت بصناعاتها المختلفة سواء ما اعتمد فيها على الموارد المعدنية المختلفة أو ما اعتمد فيها على الثروات خاصة الثروة الحيوانية، كما لا يخفى علينا كون الدولة ذات الساحل والموقع المميز ما جعل منها مركزا تجاريا بامتياز.

[1] . لطيفة بشاري، منشآت التجارة الخارجية بالمغرب الأوسط، مجلة الدراسات في اثار الوطن العربي، العدد 10، ص 1679.

[2] . عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص. ص215-216.

موانئ المغرب الأوسط على العهد الزياني.

المبحث الأول: تعريف الميناء وأصنافه.

- تعريف الميناء.
- أصناف الموانئ.

المبحث الثاني: أهم موانئ الدولة الزيانية.

- موانئ الشرق
- موانئ الوسط
- موانئ الغرب

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على ازدهار الموانئ في العهد الزياني:

- العوامل المتحكمة في تطور المبادلات التجارية:

المبحث الرابع: أساليب الملاحة وصعوباتها.

- أساليب الملاحة.
- الصعوبات التي تواجه التجار في رحلاتهم.

تميزت الواجهة الساحلية للمغرب الأوسط بكثرة موانئها التي حظيت باهتمام كبير وذلك بسبب الأنشطة التي ترتكز عليها الموانئ خاصة النشاط الاقتصادي الذي يعتبر الركيزة وشريان ثراء الدول ما جعل الدولة الزيانية توليها اهتماما بالغا.

المبحث الأول: تعريف الميناء وأصنافه:

كغيره من المفردات يملك الميناء عدة أسامي آخذا ذلك من الدور الذي يقوم به، وقد تم تصنيف موانئ الدولة الزيانية حسب فصلي الشتاء والصيف.

1-تعريف الميناء:

تعود الأصول التاريخية لمصطلح الميناء إلى الكلمة اللاتينية التي تعني مدخل أي بوابة تدل بها الدولة على العالم الخارجي، وهذا ما جعل ابن منظور يعرف الميناء:" هو الموضع الذي ترفأ فيه السفن أي تجمع وتربط"[1].

وأيضا يطلق عليه مصطلحات أخرى كالمرسى، والذي يكون من الفعل رسا، يرسو، والسفينة ترسو بمعنى بلغ اسفلها القعر وانتهى الى قرار الماء فثبتت وبقيت لا تسير[2]. وكذلك يطلق عليه اسم المرفأ.

وتعتبر الموانئ البوابة الرئيسية في المعاملات والتبادلات الخارجية نظرا للوظائف التي تؤديها من خلال عمليات شحن السفن وتفريغ حمولتها وكذلك يعد معبرا لاستقبال السفن وايوائها وتأمين جميع عمليات التجارة البحرية[3].

---

[1]. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص4929.

[2]. نفسه، ص1647.

[3]. أحمدعبد المنصف محمود، اقتصاديات النقل البحري، ط1، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الإسكندرية، 2001م، ص25.

وباعتبار بلاد المغرب الأوسط تحتوي على واجهة بحرية كبيرة مطلة على البحر الأبيض المتوسط وما ساعدها كذلك وجود التضاريس الجغرافية التي اتخذت مراسي وبنيت عليها الموانئ، وقد كانت الملاحة منتشرة في حوض المتوسط لان حركة الرياح الشرقية والغربية تساعد السفن على الإبحار على عكس الوضع في المحيط الأطلسي فان السفن لا تتحرك الا مع الرياح الغربية في موسم العواصف والامطار[1].

2-أصناف الموانئ:

تم تصنيف مرافئ الغرب الإسلامي تبعا للفصل الذي تستقبل خلاله المراكب والقوارب، وحسب الجغرافيين قسمت السنة الملاحية الى فصلين فقط: هما الشتاء والصيف، حيث كان يعبر عن الفصل الذي ينطلق خلاله النشاط الملاحي " الإيان" أو " طياب البحر"، بينما يعبر عن موسم توقف الملاحة أو انحصارها على نطاق محدود بأوقات امتناع ركوب البحر أو ارتجاج البحر وكلب الشتاء[2].

وقد صنف الجغرافيون المراسي إلى قسمين: قسم من المراسي التي كانت باستطاعتها استقبال وإيواء السفن طيلة السنة، وخاصة في فصل الشتاء وقد أطلق الجغرافيون عليه اسم المرسى" الشتوي" أو "المشتى"، كما دعيت بنفس الاسم تلك المراسي التي تقضي فيها المراكب فصل الشتاء بمنأى عن المخاطر الطبيعية، فيقال في هذه الحالة أنها تشتي فيها السفن[3].

---

[1]. طه عبد الواحد دنون، التبادل التجاري بين الموانئ الجزائرية والاندلس في القرنين 5و6ه، ضمن اعمال الملتقى الدولي للموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر، ص ص 410-411.

[2]. أسماء خلوط، الموانئ ودورها في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والاندلس من القرن (3الى 6 ه / 9 الى 12 م)، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1442-1443ه /2020-2021م، ص77.

[3]. عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص44.

أما القسم الثاني من الموانئ فيطلق عليها المرسى الصيفي، وهي مراسي تنفع في استقبال السفن والقوارب ورسوها خلال فصل الصيف فقط، في حين كانت تتعطل حركتها في باقي فصول السنة وذلك بسبب انكشافها امام أمواج البحر العاتية، وعدم قدرتها على حماية السفن من العطب في هذه الظروف[1].

المبحث الثاني: أهم موانئ الدولة الزيانية:

كان لموقع الدولة الزيانية المتوسطي وطول شريطها الساحلي السبب الرئيس في امتلاكها لعدة موانئ على طول الشريط تعددت تسميات هذه الموانئ وتصنيفاتها ومهامها بتعدد العلاقات التجارية للدولة.

1-موانئ الشرق.

- ميناء بجاية:

"بجاية قاعدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر"[2]، قد أحاطت بها جبال شامخة والبحر منه في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب[3]، وهي تقع على الساحل حسب ما بينه الحموي «مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب"[4]، فموقعها المميز جعل بها مراسي كثيرة مما أدى إلى إقبال أهاليها على الأنشطة البحرية من صيد وملاحة وتجارة وبها مرسى صغير للصيد بين بلاد زواوة وكتامة[5]، وساعدها على ذلك النهرين الكبيرين بدخول السفن إلى مدينة

[1]. عبد السلام الجعماطي، دراسات، مرجع سابق، ص45.

[2]. الحميري، المصدر السابق، ص 80.

[3]. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، (د ط)، مشروك النشر المشترك، (د ت)، ص129.

[4]. الحموي، المصدر السابق، مج:1، ص339.

[5]. الطاهر الطويل، المرجع السابق، ص. ص 297-298.

وهذا ما أشار إليه لعمري بقوله: «وعليها نهران بيران والسفينة تدخل إلى داخل المدينة وترسى إلى الحجر المثقوب داخل الميناء وهي صفة شق الجبل ثقب فيه مجاز للمراكب تدخل منه الى الميناء"[1]، كما لها دار لصناعة المراكب وانشاء السفن[2].

كما أجمعت المصادر التاريخية أن مدينة بجاية أصبحت عاصمة للدولة الحمادية وتحولت إلى قطب تجاري بارز في بلاد المغرب عموما وهذا راجع إلى موقعها الاستراتيجي الذي جعلها مدينة تجريه نشطة وهذا ما أشار إليه الإدريسي: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد حماد، والسفن إليها مقلعة والقوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق"[3].

ويدل هذا على وجود علاقات تجارية بين مدينة بجاية وباقي مدن الساحل وهذا ما يؤكده صاحب الاستبصار بقوله: "وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن وبلاد الهند والصين"[4].

نلاحظ من كل هذا أن موقع مدينة بجاية جعلها ذات مراسي وأيضا جعلها مقصدا للتجار من مختلف مناطق العالم المتوسطي.

---

[1]. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج2، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص182.

[2]. الحميري، المصدر السابق، ص81.

[3]. الإدريسي نزهة المشتاق ،ج1، مصدر سابق، ص261.

[4]. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، مصدر سابق، ص130.

- **ميناء مدينة بونة:**

ذكرت المدينة في الكثير من المؤلفات الجغرافية والتاريخية وذلك لأهميتها التي تميزت بها خلال القرن الرابع[1]، ويطلق على ميناء عنابة إسم الأزقاق وهو من المراسي المشهورة[2]، والأزقاق إسم خليج بونة يحده غربا رأس الحمراء وشرقا رأس بوفحل يتكون ميناء بونة من ثلاث مراسي[3].

نجد بعض الدراسات ترى أن إسم عنابة لم برد قبل القرن 9ه، فليلى صباغ مثلا تقول بأن معاجم اللغة وكتب الجغرافيا العربية والرحلات السابقة، لا بل لم تنشر إلى جانب اسمها المتعارف عليه آنذاك وهي بونة أنه كان يطلق عليها آنذاك إسم عنابة[4].

والجدير بالذكر أن هذا المرسى قد اتسع وتطور وأصبح من المراسي المهمة والمشهورة في بلاد المغرب[5]، وذكر البكري بأنه مرسى مأمون ومدينة بونة مرسى آخر يسمى منيع[6].

وذكر العبدري في رحلته فقال:"وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة مبسوطة البسيط ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبولة"[7]، أما ابن حوقل ركز على الجانب الاقتصادي لأسواقها[8].

---

[1]. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 213.

[2]. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، مصدر سابق، ص127.

[3]. البكري، أبو عبيد عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ج2، (د ط)، مكتبة المثنى، بغداد، (د ت)، ص87

[4]. زهرة ميلودي، دور المراسي في نشاط التجارة الساحلية وأثره على التجارة المتوسطية بالمغرب الأوسط من القرن 4ه/ 10م إلى 6ه/12م، مجلة القرطاس، العدد: الخامس، جوان2017، ص117.

[5]. أسماء خلوط، المرجع السابق، ص87.

[6]. البكري، المغرب، مصدر سابق، ج2، ص757.

[7]. العبدري، المصدر السابق، ص104.

[8]. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 104.

ويضيف البكري أنه في غربها يوجد بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة أميال في مثلها وبها سمك جليل، وأيضا يقول وعلى فحوصها وقراها وهي أنزه البلاد اكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا[1].

- **ميناء برشك:**

هي مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر الأبيض المتوسط بعيدة[2]، ويسميها بعض المؤلفين بئر شاق تحيط بها أسوار وفيها عدد من البنايات والأثار الرومانية وهم من سكان زواوة[3]، وهي مدينة صغيرة على الساحل وعليها تراب[4]، حيث تقع المدينة شرق تنس وتبعد عنها ستة وستين ميلا وحسب قول الإدريسي: "هي مدينة صغيرة على التل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر" [5]،وتعرضت المنطقة للهجمات حسب ما ذكره الحميري بقوله:" وكان طاغية صقلية أخذها واستولى عليها"[6]، وأهل برشك حلفاء لجبلين المجاورين واصدقائهم وبذلك تمكنت المدينة من الدفاع عن نفسها 100سنةة والتحرر من كل خراج ومزال في المدينة كثير من أثار عمارات الرومان وأبنيتهم[7].

ويضيف المقريزي" برشك بلد المغرب على الساحل من أعمال تنس صغيرة وبها فواكه ومزارع وحبوب كثيرة[8]، رغم صغر مساحتها إلا أن سكانها عاشوا في الرخاء[1].

---

[1]. البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص707.

[2]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 32.

[3]. نفسه، ج1، ص355.

[4]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج2، ص257.

[5]. نفسه، ج2، ص 257.

[6]. الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص 88

[7]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص233.

[8]. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد، جني الأزهار من الروض المعطار، تح: محمد زينهم، ط1، الدار الثقافية، مصر، 2006، ص 66.

ولا شك أن مينائها كان محطة للسفن القادمة من الغرب نحو الشرق للتجارة أو الحج وإم عدم وجود خط تجاري أو مسلك بحري بين برشك وبلاد الأندلس وهو الذي لم نجد المصادر تشير إليه نهائيا، وهذا راجع لوقوعها بين ميناءين هامين هما شرشال وتنس[2].

وميناء هذه المدينة يغلب عليه الطابع البري البدوي أكثر من بحري، ربما لخوف سكانها من الخطر القادم من البحر خلال القرون الثلاثة الأولى، وقد اعتبر دومنيك فاللييرين:" أن برشك هي مدينة قوراية ربما نقلا عن مارسي دون أن يقدم الدليل الكاف لذلك"[3].

2-موانئ الوسط.

- ميناء مدينة الخرز:

ذكره البكري حيث وصف سواحل المغرب الأوسط انطلاقا من ميناء الخرز[4]، وابن حوقل يذكر مرسى الخرز "القالة" كان قرية صغيرة وميناء صغير وهو غني بالمرجان ومقصد التجار والصناع، ولهم أموال كثيرة نظرا لبيع المرجان وشرائه[5].

ويعد هذا المرسى من أهم مراسي المغرب الأوسط من النحية اقتصادية والعسكرية وقد جمع بين أسوار لمدينة البرية والبحرية، كما ساهم قربه من جزيرة سردينيا في ربط العلاقات التجارية والتخوف من الحملات الأجنبية في نفس الوقت[6].

---

[1]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص33

[2]. علي عشي، المرجع السابق، ص 315.

[3]. نفسه، ص. ص109_ 110

[4]. البكري، المغرب، مصدر سابق، ج2، ص 758.

[5]. ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[6]. على عشي، المرجع السابق، ص 106.

ويذكر المقدسي بقوله عن الميناء:" هو في مدينة على جزيرة على البحر يدخل اليها من موضع واحد ومها يرتفع المرجان"[1]، وهو مرسى خطير في الشتاء حيث تغمره المياه[2]، وميناء الخرز كانت به دار لصناعة السفن والمراكب خلال الفترة الحمادية والموحدية[3].

ووصفه الحموي بأنه موضع معمور على ساحل إفريقية بينه وبين بونة ثلاث أيام منه يستخرج المرجان، ويجتمع التجار فيستأجرون أهل تلك المواضع على استخراجه من قعر البحر، وليس في ذلك على استخرجه مشقة ولا للسلطان فيه حصة ولونه أغبر من لون القشر، فإذا حل عنه قشره خرج أحمر اللون فتفصله الصناع[4].

كما وافانا ابن خلدون بأن ميناء الخزر وقصبته تعرض للتخريب والحرب بعد سنة 1287م من طرف النصارى بقوله (غزو النصارى مرسى الخرز فاقتحموها بعد أن تلثموا اسوارها واكتسحوا ما فيها واحتملوا أهلها أسرى وأضرموا بيوتها نارا، ثم مروا بمرسى تونس وانصرفوا إلى بلادهم[5].

- ميناء جزائر بني مزغنة:

سميت في العهد الروماني أكسيوم[6]، ويقصد بها مدينة الجزائر، وقد أطلق عليها الرحالة والجغرافيون اسم جزائر بني مزغنة حيث سكنتها قبيلة بني مزغنة البربرية ثم قبيلة الثعالبة العربية في

---

[1]. المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص239.

[2]. علي عشي، المرجع السابق، ص132.

[3]. نفسه، ص243.

[4]. الحموي، المصدر السابق، مج: 5، ص106.

[5]. ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر، مصدر سابق، ج6، ص448.

[6]. إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الاصالة، العدد 19، 1974م، ص355.

عهود لاحقة[1]، وهي مدينة تستوقف بحسنها الناظر وقد حازت مزيني البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب انيق وسور معجز وثيق وابواب محكمة العمل[2]. فنجد الرحالة ابن حوقل يصفها في قوله:" وجزائر بني مزغنة مدينة عليها سور على رصيف البحر وفيها أيضا أسواق كثيرة وها عيون على البحر طيبة ومشربهم منها ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال ولها جريرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فان نزل بهم عدو لجئوا اليها فكانوا في منعة وامن ممن يحذرونه ويخافونه"[3].

توسعت هذه المدينة ازدهرت في عهد الزيرين فقد بناها بلكين بن زيري بتاريخ 335ه-946م[4]، وقد حددها الحميري: "إن جزائر بني مزغنة يفصلها عن مدينة شرشال سبعون ميلا والجزائر مدينة جليلة قديمة البناء فيها اثار الأول ومتيجة قريبة منها ويتصل بالجزائر فحص متيجة وهو فحص عظيم وكبير الخصب"[5]. وبسبب موقعها الجغرافي فقد اكتسبت المدينة أهمية مرموقة.

- ميناء تنس:

وصفها ابن حوقل أنها مدينة صغيرة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط يحيط بها سور[6]، وهي مدينة ساحلية تتمتع بنشاط اقتصادي وسياسي ملحوظ، حيث قال ابن حوقل:" وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض ... ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة"[7]. وقال عنها مرمول كربخال:" ... ذلك لأن البلاد

[1]. أسماء خلوط، المرجع السابق، ص92.

[2]. العبدري، المصدر السابق، ص356.

[3]. ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

[4]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص258.

[5]. الحميري، المصدر السابق، ص163.

[6]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص35.

[7]. ابن حوقل، المصدر السابق، ص72.

كثيرة الزروع والخصب والرعي"[1]، وعلى ما يبدو أن هذا المرسى كان مقصدا منذ زمن بعيد إلى العهود القديمة معناها قبل تأسيس المدينة الحديثة" تنس" التي أسسها البحريون من أهل الاندلس وذلك سنة 262ه، وهي مدينة بينها وبين البحر ميلان مسورة حصينة بها مسجد جامع وأسواق كثيرة[2]، كانت خاضعة لتلمسان[3].

كما وضح كربخال أن المدينة تقع في منتصف الطريق بين مدينة وهران ومدينة الجزائر، وتبعد عن كل منهمها بثلاثي فرسخا، وسكانها لهم تجارة واسعة مع الأجانب ومع الجزائر، وتوجد قبالة المدينة جزيرة تحتمي عندها السفن ابن هبوب العواصف إذا تعذر عليها البقاء في المرسى[4]. ويذكر الادريسي أهميتها الاقتصادية والتجارية في قوله:" وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الأفاق في المراكب..."[5]،

وقد ازدهرت المدينة واتسعت بسبب ازدهارها التجاري، حيث كان لسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار، ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة، فقد كنت تنس سوقا ينمو ويجذب الناس اليه، ويبدو أن الأرباح التي حققتها القبائل لها هي التي دفعت بها إلى دعوة التجار الاندلسيين إليها لكي يتخذوا منها سوقا ويجعلوا منها سكنى[6].

3-موانئ الغرب.

- ميناء مدينة مستغانم:

[1]. مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص354.

[2]. البكري، المغرب، مصدر سابق، ج2، ص726.

[3]. الحموي، المصدر السابق، مج:2، ص48.

[4]. مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص354.

[5]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص252.

[6]. أسماء خلوط، المرجع السابق، ص98.

مستغانم مدينة أسسها الموحدون في غاية الحسن[1]، ووصفها الادريسي بقوله:" مستغانم على البحر مع الجون، وهي مدينة صغيرة لها أسواق وحمامات وجنات وبساتين ومياه كثيرة، وسور على جبل مطل إلى ناحية الغرب"[2]، وللمدينة ميناء صغير تقصده السفن الأوروبية وخاصة الإيطالية التي توقف سفنها في ميناءها الصغير الذي يشتهر بتجارة الصوف [3]، وقد استعمل هذا الميناء منذ عهد الفينيقيين وقد أشار إليه الحسن الوزان بقوله:" كان لها في القديم حضارة كبيرة وسكان كثيرون لكن الاعراب يكثرون من مضايقتها منذ أن بدأت سلطة ملوك تلمسان تضعف، حتى انها فقدت ثلثي أهلها في وقتنا الحاضر"[4]، كما أشار الحميري لموقع ميناء المدينة بقوله:" مدينة وميناء مستغانم بقرب مصب نهر الشلف بينها وبين قلعة مغيلة دلول مسيرة يومين"[5].

وفيما ذكره البكري عن هذا الميناء:" مدينة مستغانم مسيرة يومين وهي على مقربة من البحر وهي مسورة ذلك عيون وبساتين وطواحين ماء، يبذر من أرضها القطن فيجود وهي بالقرب من مصب نهر شلف في البحر بغربي هذه المدينة نحو ثلاثة أميال منها مدينة تامزغوان"[6].

- **المرسى الكبير:**

يقع هذا الميناء في مدينة وهران[7]، بحيث يقابل مدينة ألمرية بالأندلس وأصبح محطة لسفن جنوة وبيزة ومرسيليا منذ القرن 7ه/ 13م[1]، وهذا يدل على أهميته الاقتصادية حيث استولى عليه

---

[1]. البكري، المغرب، مصدر سابق، ج2، ص45.

[2]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص271.

[3]. لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن 7-10ه/ 13-16م، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، ص86.

[4]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص350.

[5]. الحميري، المصدر السابق، ص 558.

[6]. البكري، المسالك، مصدر سابق، ص737.

[7]. وهران: مدينة كبيرة كثيرة البساتين، أهلها عظيم الخلق وكمال القامة، أسست في سنة 290ه بناها الأندلسيين. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص612.

الاسبان عنوة قبل سقوط وهران ببضعة أشهر[2]، وقد أشار إليه ابن حوقل بقوله:" ولمدينة وهران مرسى كبير في غاية السلامة والصون من كل ريح وما اظن له مثيل في جميع انحاء البربر سوى مرسى موسى فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن وعليها سور وماؤها من خارجها جار عليها في واد"[3].

أما الحميري فيقول عن المرسى الكبير: " أن السفن ترسو فيه وهو يستر من كل ريح لا مثيل له في المراسي وشرب أهلها من واد تجري اليها من كل البر وعليه بساتين وجنات وبها فاكهة ممكنة، أهلها في خصب ولقد اعتمدت وهران على المرسى الكبير الذي يقع بعد ميلين منها لأنه يتوفر على أهم ما تتطلبه عملية لإرساء السفن خاصة الكبيرة "[4].

ظل هذا الميناء منذ القرن 9ه مركزا محوريا للتبادل التجاري بين الدول المتوسطية الأوروبية وبين بلاد المغرب الأوسط، حيث أصبح تحت سلطة الزيانيين منذ منتصف القرن 13م نظرا لموقعه الممتاز وقد حظي الميناء بعناية كبيرة لدى ملوك تلمسان[5].

- **ميناء وهران:**

وهران مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط تقابل مرسية من الاندلس وهي منيعة المكان كثيرة الحرث والنسل والخصب من الزرع، الغالب عليها الحنطة والفواكه[6] وهي على ميلين

---

[1]. الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص252.

[2]. علي عشي، المرجع السابق، ص313.

[3]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص31.

[4]. نجية ذباح، فطيمة بومسيلي، الموانئ الزيانية ودورها الاقتصادي، مذكرة ماستر، جامعة يحيى فارس، المدية، 2015-2016، ص18.

[5]. سلمان غربي، حمزة سمينة، موانئ المغرب الأوسط في كتابات الرحالة دراسة في النشأة والاهمية، مذكرة ماستر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2021، ص. ص 51-52.

[6]. ابن الصباح، الحاج عبد الله، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تح: محمد بن شريفية، (د. ط)، دار أبي الرقراق للنشر، 2008م، (د.م.ن)، ص 96.

من المرسى الكبير، ويذكر الادريسي انها تقابل المرية من الاندلس وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها تصدر وتستورد مختلف السلع والبضائع[1]. وقد أشار البكري وابن حوقل إلى مينائها بأنه في غاية السلامة والصون من كل ريح وليس له مثيل في ذلك سوى مرسى موسى، فقد كنفته الجبال وله مدخل أمن وعليها صور وهي قريبة من الأندلس، ترد إليها السلع ومنها يحملون الغلال كما أن معطيات الميناء بمدينة وهران تجعل منه ذا أهمية كبيرة من خلال عمق مياهه التي ساعدته على استقبال السفن التجارية الثقيلة خاصة التي تنقل الملح المستخرج من سباخ وهران على جانب الحبوب والحلفاء والصوف والجلود والمواد الأولية على غرار الحديد[2]، وهي من أشهر المراكز التجارية وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي، وقد قال عنها الحميري:" وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات واسعة وهي بذلك تقابل المرية في ساحل بر الاندلس"[3].

ظلت مدينة وهران بمينائها تحافظ على وزنها الاقتصادي حتى في العهد الزياني رغم الاضطرابات السياسية التي عرفتها مملكة بني زيان، جامعة في ذلك بين قوافل الصحراء وسفن أوروبا[4].

– ميناء هنين:

وصفها ابن حوقل في كتابه صورة الأرض:" هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة"[5]، وذكرها الادريسي بقوله:" مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر، وهي عامرة عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة"[6]، وللمدينة ميناء قد ذكره في

---

[1]. الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص258.

[2]. علي عشي، المرجع السابق، ص203.

[3]. الحميري، المصدر السابق، ص. ص612-613.

[4]. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص58.

[5]. حسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص15.

[6]. الادريسي، الشريف، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1862م، ص172.

قوله:" انها انيقة للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما في جهة وتحيط بها اسوار عالية متينة لاسيما من جهة البحر"[1]، واكد ذلك البكري في قوله:" على مرسى جيد مقصود"، وهو اكثر الحصون المتقدمة ببساتين وضروب التمر، يسكنها قبيلة كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة[2] الجبل المعروف بتاجرة، ويقول عنها الاندلسيون كأنها من مدن الاندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها، وبينها وبين تلمسان ثلاثون ميلا[3].

أصبح هذا الميناء مهما في القرن 5ه/11م، حيث اخذ ينمو ويتطور حتى أصبح في القرن 6هـ. كما نجد أن ابن خلدون وصف مرسى هنين في رحلته[4]، وكان هذا الميناء واسعا يصل عرض مرساه إلى ثمانية أمتار ونصف، ويستقبل السفن الكبيرة والصغيرة من شبه جزيرة أيبيريا اذ لا يفصله عن المرية الا مسافة يومين[5].

نستنتج مما سبق أن ميناء هنين قد اكتسب مكانة هامة مع مرور الوقت وما يدل على ذلك أنه أصبح يذكر في كتب الرحالة والجغرافيين خلال القرن السابع للهجري[6]، وهذا يبين ازدهاره الكبير في الفترة الزيانية وهذا ما أكده ابن خلدون أن ميناه هنين كان مزدهرا خلال القرن الثمن للهجري وأصبح مكانا رئيسيا للسفر عن طريق البحر بالنسبة للدولة الزيانية[7].

- ميناء ارشقول:

---

1. حسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص15.
2. ندرومة: مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار بسيطة خصبة. ينظر: مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص135.
3. ابن سعيد المغربي، المصدر سابق، ص140.
4. ابن خلدون، عبد الرحمان، رحلة ابن خلدون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص53.
5. لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص432.
6. علي عشي، المرجع السابق، ص272.
7. عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7، ص156.

تعددت أسماء المدينة فقد سماها ابن حوقل "بأرجكوك"[1]، ووردت عن البكري والحميري باسم "أرشقول"[2]، أما الادريسي ذكرها باسم "جزيرة ارشقول وأرجكون"[3].

أما صاحب الاستبصار ذكرها باسم "أرشجول"[4] وابن سعيد المغربي سماها "أرشعون"[5]."وهي مدينة كبيرة وقديمة أسسها الأفارقة على صخرة يحيط بها البحر من الجهة الشرقية والغربية والشمالية ماعدا الجنوبية، حيث أن موقعها على بعد نحو أربعة عشر ميلا من تلمسان"[6].

كان يسكن المدينة التجار وهي تحتوي على مرافق تطلبها طبيعتها الساحلية التي تتمثل في الموانئ والمراسي، وكانت اغلبها في حالة نشاط دائم مع الشمال والشرق خصوصا، كذلك احتواء المدينة على سور وذلك لصد هجمات الأعداء والدفاع عنها[7].

أما عن مرساها فيقول ابن حوقل أن للمدينة مرسى في الجزيرة لما فيها من مياه ومواجن كثيرة للمراكب[8]، ويضيف الادريسي:" كانت فيها سلف حصنا عامرا له مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال السائمة، ومرساها في جزيرة فيها مياه ومواجل كثيرة المراكب"[9].

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في تطور الموانئ في العهد الزياني:

1. ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.
2. البكري، المصدر السابق، ص165.
3. الادريسي، المغرب، مصدر سابق، ص172.
4. مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص140.
5. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص140.
6. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص16.
7. أسماء خلوط، المرجع السابق، ص108.
8. ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.
9. الادريسي، المغرب، مصدر سابق، ص172.

شكل الموقع الجغرافي للدولة الدولة العامل الرئيسي لازدهار حركة الموانئ وذلك لتوسطها الجهات الأربع، كما أبدى سلاطين بنو زيان اهتماما بالغا بالموانئ من خلال إنشاء الشركات والفنادق وكذلك الأسواق التي شكلت جملة عوامل ساهمت بشكل كبير في ازدهار المبادلات التجارية ولا ننسى النسيج العمراني للدولة خاصة العاصمة تلمسان التي مثلت مركز استقطاب تجاري.

1- العامل الطبيعي:

كان للموقع الجغرافي أثر بالغ الأهمية على النشاط التجاري للدولة الزيانية فموقعها الوسطي في المغرب الإسلامي واشرافها على البحر المتوسط، مكنها من إقامة علاقات مع الدول الإسلامية الأخرى سواء المغربية وحتى المشرقية ومع الاندلس أيضا وباقي الدول الأوروبية والسودان الغربي، مما أهل الدولة الزيانية للتحكم في القوافل التجارية العابرة لهذه البلدان وعلى هذا الأساس فقد كانت حلقة وصل بين هذين الفضائيين التجاريين في العصر الوسيط.

لقد كانت الطريق المفضل لأغلب الرحالة المغاربة أمثال العبدري، ابن بطوطة والحسن الوزان في بداية القرن الرابع للهجرة والسادس عشر للميلاد[1]، فموقع مدينة تلمسان أهلها لان تكون ملتقى الطرق المسالك والدروب لمختلف القوافل التجارية حيث في الطريق بين الصحراء والبحر، فما من قافلة تجارية الا ولا بد لها أن تمر بها وهذا ما نتج عن هذه الأهمية الاقتصادية وتعزيز مكانتها السياسية[2]. فمثلا نجدها تتحكم في الطريق الوحيد الذي يربط بين المغرب الأقصى والوسط الذي يمر عبر تازة[3].

---

[1]. مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص82.

[2]. خيرة بلعربي، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (5ه-10ه/ 11-16م)، مذكر ماجستير، جامعة تلمسان، 2009-2010م، ص91.

[3]. تازة: مدينة كبيرة في سفح لجبل مشرفة على بسائطه، تشقها جداول المياه العذبة وعليه سور عظيم. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، مصدر سابق، ص186.

يتوفر المغرب الأوسط على إمكانيات طبيعية هامة في مجال الفلاحة حيث توفرت السهول والأراضي الصالحة للزراعة ذات الإنتاج الوفير مثل سهل شلف وتنس ومتيجة والتي قال عنها صاحب الاستبصار بأنها من أخصب بلاد افريقية وتاهرت ووهران وتلمسان[1].فمدينة تلمسان عرفت تنوعا في الإنتاج الزراعي بسبب توفرها على الأراضي الخصبة ومصادر المياه بالإضافة إلى المواد الأولية الزراعية كالغابات الكثيفة والمتنوعة التير زودت التجار بالأخشاب، كما لا ننسى الثروة الحيوانية من أبقار وأغنام والتي أمدت الدولة بمختلف الصناعات النسيجية والجلدية والتي كان الإقبال عليها كبيرا في الأسواق الداخلية والخارجية[2].

أما المعادن أمدت الحرف والصنائع بالمواد الأولية فقد ذكر الجغرافيون والرحالة أن المغرب الأوسط اشتمل على قدر وفير من المعادن بمختلف أنواعها، فقد وجد الحديد في جبل بدوغ في بونة[3]، والنحاس في جبال بجاية وجبال كتامة ومعدن الزئبق في منطقة ارزيو حسبما افادنا به البكري[4].

إضافة إلى كل ذلك وجود السواحل الممتدة على مسافة طويلة من حدود المغرب الأدنى إلى حدود المغرب الأقصى والتي ساعدت على انشاء الموانئ والتي بدورها قامت بتنشيط الحركة التجارية في حوض المتوسط مثل ميناء تنس ووهران والمرسى الكبير التي ذكرها الادريسي[5].

2- العامل السياسي:

إن المجهودات التي قام بها سلاطين بنو زيان ساهمت في تنشيط التبادلات التجارية بين الدولة الزيانية والضفة المتوسطية لتطوير هذا الميدان، فمنذ تأسيس الدولة حاولت توفير الامن في

---

[1]. مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص296.

[2]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج:1، ص252.

[3]. ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[4]. البكري، المسالك، مصدر سابق، ص 738.

[5]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص252-258.

ربوع البلاد لتحقيق الرخاء الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية حيث حاول سلاطين الدولة محاربة ظاهرة التسول لأنها تمس براحة الرعية فلجا السلاطين إلى إقامة أبراج أو ما يشبه ذلك في النقاط الاستراتيجية من الطرق الشمالية وكثيرا ما كانوا يتفقون مع القبائل المنتشرة حول طرق القوافل لحراستها وتأمينها مقابل هدايا وأموال تقدم لهم، وبذلك استفاد التجار من شيوع الأمن إلى حد ما فنشطت التجارة الداخلية والخارجية وساد الرخاء الاقتصادي[1].

وعلينا أن نشيد بالجهود التي قام بها السلطان الزياني ابي تأسفين الأول (718-737ه/1318-1336م) في تحسين وضعية الدولة، فكان المحتسب [2]يراقب السوق ويتزل العقاب على كل من يغش أو يدلس أو يطفف في الميزان.

ويعتبر فترة حكم أبي حمو موسى الثاني (760-791ه/ 1359-1389م) من أزهى فترات الدولة الزيانية في جميع المجالات وخاصة الاقتصادي حيث قام بتامين الطرقات وترك الوظيفة لابنه ابي تاشفين الثاني(791-794ه/1389-1392م) والمدوة في كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك حيث أكد وحرص على وضع المكاييل والموازين بأسواق المدينة[3].

إضافة إلى كل هذا نجد طبيعة العلاقات السياسية مع الجيران الحفصيين والمرينيين قد اثرت في نشاط الحركة التجارية من خلال تلقي الصدمات العسكرية والتكلفة المالية والمشاكل الداخلية للدولة

[1]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص227.

[2]. المحتسب: عرف في بلاد المغرب ولأندس بإسم صاحب السوق وصاحب الحسبة، وقد لعبت الحسبة دورا عظيما إلى جانب وظيفتي القضاء والمظالم وإقرار العدل. ينظر: موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ونشاتها وتطورها، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص21.

[3]. خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن: دراسة تاريخية وحضارية (633ه-689ه/ 1235ه-1282م)، ط1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 2005م، ص77.

والتي كان لها بالغ الأثر على الاقتصاد الزياني حيث انعدم الامن وازدهر اللصوص وقطاع الطرق فتراجعت عمليات التبادل[1].

3- العامل البشري:

إن اتساع النسيج العمراني والاجتماعي ونماء المدن في المغرب الأوسط وتحديدا مدينة تلمسان كان من أهم العوامل المتحكمة في تنشيط التجارة في العصر الزياني سواء ما تعلق منها بالتجارة الداخلية أو التجارة الخارجية، فنمو السكان بالمدن تحفز التجار والحرفيين على زيادة نشاطهم الحرفي والتجاري لتزويد السوق بما تحتاجه الساكنة.

وقد اشتغل عدد كبير من سكان مدينة تلمسان بالتجارة حتى أنهم كانوا طبقة خاصة من التجار وتميزت بلباسها الخاص عن باقي الافراد، حيث كان يرتدي التجار الحضريون باسا جميلا يكون أحسن أحيانا من لباس أهل فاس لأنه م حقا أكثر اناقة وسخاء[2].

ويظهر تأثير الحياة الاجتماعية على الحياة التجارية من خلال التباين الاجتماعي الذي تحدده طريقة المعيشة[3]، حيث اعتبرت طبقة التجار من أبرز الطبقات المؤثرة في المجتمع الزياني لحرصهم الشديد على تزويد المدن بالمؤن الضرورية على أحسن وجه كما أن من بين العوامل التي شجعت الأجانب على التعامل مع التجار التلمسانيين هي الأمانة والإخلاص والصدق في المعاملات

[1]. موسى جبريط، التجارة في المغرب الأوسط الرستميون والزيانيون نموذجا-دراسة مقارنة-، مذكرة ماستر، جامعة غرداية، 2013-2014م، ص87.

[2]. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص193.

[3]. خالد بلعربي، الدولة الزيانية، مرجع سابق، ص. ص242-243.

التجارية، وكانت وهران مهبط التجار القطلانيين والجنويين حيث انشات دار لراحتهم واقامتهم وسميت بدار الجنويين[1].

4- دور الشركات:

وجدت بالمغرب الأوسط عدة شركات مثلت الأسس والقواعد التي تنظم من خلالها مختلف العمليات التجارية.

ولعل أكبر دليل على هذه الشركات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني هو شركة الإخوة المقري وذكرهم جدهم الكاتب:"...فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكوه على السوء بينهم وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهما الصغيران بايولاتن وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والربحان..."[2]، وهنا يتضح مدى التنظيم والازدهار في مجال المبادلات التجارية.

كما رخص جاك الغزي ملك اراغون عام669ه/ 1270م التاجر" إبراهيم بن يخلف" وهو من رعاياه في بلنسية أن يشتري مركبا كاملا أو سهما منه على أحد رعاياه والمسمى "برناط ماسو" وان يستعمل هذا المركب في التجارة بالشراكة مع من يختار من سكان بجاية وتشمل رعايا الملك "جاك" عامة شركائه وكل البضائع المحمولة على المركب[3].

5- دور الأسواق

[1]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص391.

[2]. المقري التلمساني، أحمدبن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج:5، تح: احسان عباس، (د ط)، دار صادر، بيروت، 1968، ص205.

[3]. علي عشي، المرجع السابق، ص554.

يعد السوق من أهم الأسس التي تعتمد عليها التجارة في كل العصور، وهي المرافق العامة التي كانت تنشأ في المدينة، وكانت العادة تقضي بإنشائه وسط المدينة حتى تتمكن ساكنة المدينة من الوصول إليه وكانت هذه الأسواق بمثابة العصب المحرك للاقتصاد في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص وخاصة خلال العهد الزياني.

كانت الأسواق تسمى باسم نوع السلعة التي تعرض مثلا سوق العطارين، سوق السماكين، الدباغين...، وقد يسمى السوق باسم الشخص الذي يملكه مثل سوق ابن وردة في تاهرت، وقد تأخذ السوق اسم القبيلة التي يقام في مواطنها[1]، وقد تعددت أنواع الأسواق بالدولة الزيانية تبعا للأيام الأسبوع فنجد:

- الأسواق اليومية: انتشر هذا النوع في كل المدن الزيانية، وهو سوق تعرض فيه منتوجات وبضائع مختلفة مثل سوق أجادير، سوق منشار الجلد[2].
- الأسواق الأسبوعية: تعقد هذه الأسواق في يوم معلوم من الأسبوع وكانت تبنى السوق في الصباح ويفض في اخر النهار من نفس اليوم مثل سوق بني راشد الذي يعقد كل يوم خميس لبيع الماشية والحبوب والزيت والعسل[3]، وسوق بمازونة يباع فيه الفواكه والألبان والسمن والعسل[4].

[1]. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24.

[2]. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص37.

[3]. الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص263.

[4]. خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية الالكترونية، مصر، ديسمبر، 2009م، السنة الثانية، ع: 6، ص32.

- الأسواق العسكرية: هي تلك الأسواق التي كانت تصحب عادة الجيش في تنقلاته اثناء غزواتهن وكانت تصب هذه الأسواق في الهواء الطلق والقائمون عليها كانوا يختارون أماكن مناسبة لتكون قريبة من الجميع وبعيدة عن أي مسكن[1].

وكانت هذه الأسواق تزودهم بمختلف وسائل القتال أو يشترون من الجند نصيبهم من غنائم الحرب بأسعار اقل من أسعار الأسواق الأخرى و لم تقتصر هذه الأسواق على التجار فقط بل كانت تضم مجموعة من الحرفيين بالحدادين لصنع السيوف والرماح وكل ما يلزم عدة الحروب[2] وخاصة أن الدولة الزيانية كانت لهم عدة حروب مع المرنيين والحفصيين إلا أن المعلومات عنها قليلة[3].

6- دور القيسريات:

تميزت مدينة تلمسان بوجود القيسريات بها، والقيسارية أو القيصرية تختلف عن السوق من حيث أنها أسواق مسقوفة تعلو دكاكينها بوائك، حيث يقول أحد الباحثين:" وتتكون القيصرية من فناء فسيح يبه أروقة مسقوفة تقام فيها الحوانيت وتعلوها منازل الغرباء من التجار"[4].

---

[1]. نفسه، ص33.

[2]. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، (د. ط)، دار الرشيد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص132.

[3]. خالد بلعربي، الأسواق، مرجع سابق، ص33.

[4]. إبراهيم فرغل محمد، قيساريات وأسواق مدينة تلمسان في العهد الزياني 633-962ه/1235-1554م، مجلة كلية اللغة العربية بلباي البارود، العدد 33، ص10308.

وقد كانت تعلو هذه القيسريات رايات الدول المتعاملة مع الإمارة الزيانية تجاريا مثل قشتالة، اراغون، ميورقة، جنوة، وبيرة وغيرها والتي كان يقصدها التجار الأجانب بحثا عن أهم مادة استراتيجية قدموا من أجلها البتر القادم من السودان الغربي[1].

وقد قام بتأسيس القياسر أبو حمو موسى الأول فوق مساحة كبيرة وسط مدينة تلمسان بالقرب من المشور (القلعة) وبجوار مسجد سيدي ابراهيم المصمودي وحتى اليهود ويحيط بها سور به عدة أبواب وتمتاز بسعتها وتنظيمها المحكم وتشمل على أروقة مغطاة[2].

ونجد الغبريني قد أشار لوجود هذا النوع من العمارة ببجاية بقوله:" إضافة إلى العديد من الأحياء والأسواق المرتبطة بالبحر على غرار حومة باب البحر، وسوق البحر، وحومة اللؤلؤة والمذبح وسوق المرجان وسوق القيسرية"[3].

ومن أهم المنتجات التي كانت تلاع فيها نجد المصنوعات النسيجية والأقمشة والكتان بالإضافة إلى عمليات التبادل التي تتم داخلها، واشتهر سوق القماش داخل القيسرية بوجود مقياس طولي" الذراع" هو حد لكل السوق وعلق داخلها وطوله حوالي 47سم وضعه السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان الأول(1318م/1348).

ومن الجدير بالذكر أن نفرق بين السوق والقيسرية هو أن القيسرية تحتوي على مجموعة من البنايات على شكل رواق يشمل محلات تجارية ومخازن ومساكن في بعض الأحيان وتختلف عن

[1]. لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص216.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص. ص135-136.

[3]. الغبريني، أبو العباس البجائي، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 66.

السوق في انها تشمل مجموعة أروقة ومساحتها متسعة جدا اما السوق فيشمل رواق واحد ومساحته أصغر[1].

7- دور الفنادق:

تعتبر الفنادق من الوسائل المساعدة على ازدهار التجارة وقد عمل السلاطين على بناء الفنادق لارتباطها بالحركة التجارية.

وبالاستئناس الى المصادر الجغرافية والرحلات يتضح لنا الاهتمام بتوفير وسائل الراحة من فنادق وحمامات كان من أولويات السياسة الاقتصادية لحكام دول المغرب الإسلامي في الفترات المتأخرة من العصر الوسيط، فقد ذكر الحسن الوزان انه وجد بمدينة تلمسان فنادق دون ذكر عددها منها فندقان لتجار البندقية وجينوة وفلانسيا الى جانب رعايا العرش الارغواني من مسيحيين ويهود' إضافة إلى ذلك نجد فندق الماهي الذي يقع بالقيسارية ومساحته 150متر مربع وأيضا فندق أبو علي وتبلغ مساحته 200متر مربع وكانت وظيفتهم إيواء التجار والمسافرين والعائلات وبداخله مجموعة من المتاجر للحرفيين[2].

كما وجدت فنادق خاصة بالنزلاء المحليين من الغرباء المسلمين[3]، غير أن ما يلاحظ في هذه الفنادق وقوع الكثير من المحرمات الممنوعة فيه وكان المحتسب صاحب السوق هو الذي يقوم بالإشراف عليه[4].

---

[1]. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص206.

[2]. عمر بلوط، فنادق مدينة تلمسان الزيانية، ط1، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص. 98-103.

[3]. هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري ونصف القرن العاشر ميلادي، (د. ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، 1995م، ص360.

[4]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص137.

ومن مميزات هذه الفنادق انها توفر للتجار الأجانب الحماية وتحفظ لهم حقوقهم التجارية والشخصية وتبرم فيها المعاهدات بين الدولة الزيانية وقناصل الدول الأوروبية، فالفندق كان بمثابة القنصلية أو السفارة في عصرها[1].

أما عن شكلها ففي الغالب كانت الفنادق تتسع من طابقين فالأول(الأرضي) يستخدم مخزنا لبضائع التجار، وتخصص جزءا منه اسطبلا للدواب التي تحمل البضائع والسلع بينما الطابق الأول فيعد للسكن والإقامة[2].

المبحث الرابع: أساليب الملاحة وصعوباتها:

تعددت أساليب الملاحة في حوض البحر المتوسط ولا يخفى علينا ان التجار كانت تعترضهم عدة أخطار في عرض البحر فكان لزاما عليهم إيجاد سبل لمواجهتها خاصة بعقد الاتفاقيات وتحري أوقات الملاحة.

1- أساليب الملاحة:

تنوعت أساليب الملاحة في البحر المتوسط، واختلفت معانيها وبالنظر الى كيفية قياس الربابنة الى للمسافات البحرية، حتى وضع قواعد الوحدات القياسية، فيمكننا تصنيف تقنيات الإبحار إلى ثلاث طرق تم تداولها بين بحارة المغرب الإسلامي.

[1]. حسن الوزن، المصدر السابق، ج2، ص74.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص137.

– **طريقة المساحلة:** او كما يطلق عليه مصطلح " التقوير"[1]، **وهو** عبارة عن أسلوب ملاحة يستعمله الادريسي في قياس المسافات البحرية، حيث أن السفن تبحر في خط سير متعرج يخضع لشكل السواحل والخلجان والرؤوس، بحيث يمكنها مشاهدة البر كم خط الساحل[2].

– **طريقة الروسية:** وهي تقوم على اتخاذ خط شبه مستقيم للوصول الى المحطة البحرية المرادة، ويقدر الإدريسي بعض المسافات الفاصلة بين بعض موانئ المغرب الأوسط ب روسية مثل: المسافة من وهران إلى طرف مشانة روسية خمسة وعشرون ميلا وعلى التقوير اثنين وثلاثون ميلا، ومن مستغانم إلى حوض فروح تقويرا أربعة وعشرون ميلا، وروسية خمسة عشر ميلا[3]، نلاحظ هنا أن عملية الإبحار بطريقة الروسية من شأنه تقليص مسافة الطريق على عكس طريقة التقوير.

– **طريقة التلجيج**[4]: التلجيج هو الابتعاد عن السواحل في اتجاه أعالي البحار او قطعها عرضا، ويعد نوعا من التغرير بالنفس والمال توشك أن تهلك صاحبها[5]، لكن المراكب المتجهة من الاندلس نحو العدوة المغربية أو العكس وكذلك تلك المتجهة إلى المشرق تضطر في الكثير من الأحيان ان تبتعد عن الساحل، وتقطع البحر عرضا، ويذكر ابن جبير بهذا الصدد ان السفينة التي كان على متنها قد اعتمدت هذا الأسلوب في الإبحار، وذلك في قوله:" فأخذنا ملججين، وأقرب ما تؤمله من البر الينا جزيرة أقربطش، والملاحظ ان أسلوب التلجيج كان متوقفا على

---

[1] . ابن منظور، المصدر السابق، ص3771.

[2] . خديجة بورملة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر الأبيض المتوسط من القرن السادس الى السابع الهجري، 12/ 15م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017/ 2018م، ص136.

[3] . الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص271.

[4] . مأخوذة من اللجة ولجة البحر حيث لا يدرك قعره، ولج البحر عرضه هو أيضا الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص 3999.

[5] . عبد السلام الجعماطي، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف (316ه/ 483م)، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2010، ص218.

دراية الربابنة بالملاحة الفلكية كون هذا الأسلوب يقوم على الاسترشاد بالنجوم لتوجيه دفة السفينة صوب الاتجاه المقصود[1].

2- الصعوبات التي تواجه التجار في رحلاتهم.

واجه التجار بعض الصعوبات في طرقهم البحرية سواء كانت طبيعية او بشرية ولعل اخطرها ما يلي:

- **القرصنة.**

استفحلت ظاهرة القرصنة[2]، أو كما يسميها المسلمين بالجهاد البحري مع القرن 5ه/ 11م، حيث كانت السفن تتعرض للاعتداءات من اجل الاستيلاء على حمولتها من سلع وأشخاص يحولون الى السبي، ويسميها الغبريني بغارات البحر، ويوضح ان بجاية في منتصف القرن 6ه/ 13م كانت بلدة غزاة[3]. إلا أن الدولة الزيانية لم تبقى مكتوفة الأيدي أمام هذه الاعتداءات بل كانوا يقومون برد الفعل من ذلك انهم هاجموا سنة 728ه/ 1327م القطلانيين في عرض البحر فقتلوا سبعة عشر وأسروا بعضا منهم[4]. وقد تعرض لهاته المحنة ابن بطوطة اثناء سفره من تونس إلى تازا حيث يقول:" ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا الى جزيرة سردانية من جزر الروم... ووصلنا الى مدينة تنس... مازونة مستغانم ثم تلمسان... ثم سافرنا منها بينما نحن بقرب

[1] . عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص. ص 78-79.

[2] . القرصنة: كلمة إيطالية تعني السابق، ومنها اشتقت كلمة la corseraوهو الذي يقوم بفعل السباق، وقد استعملت للتعبير عن التسابق البحري أي الهجوم والاعتداء على السفن او سواحل الدول الأخرى، بينما نجد في المصادر الإسلامية تعبير اخر وهو غزاة البحر او الجهاد البحري. ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص76.

[3] . نفسه، ص76.

[4] . علي عشي، المرجع السابق، ص482.

أزغنغان اذ خرج علينا خمسون راجلا وفارسا فعزمنا على قتالهم ورفعنا علما ثم سالمونا وسالمناهم"[1].

ونتيجة هذه العملية يضطر التجار الى دفع الاتاوة حتى تحميهم وتحمي سلعهم، وللحد من هذه الظاهرة كانت تعقد اتفاقيات ومعاهدات مثل: معاهدة افريقية والبندقية 629ه/ 1231م[2].

- **الرياح:**

تعرف الموانئ التي تصلح لأعمال الملاحة البحرية دون الحاجة الى اجراء تعديلات وصناعة كبيرة، حيث تخضع في وجودها للعوامل الطبيعية التي تتعرض لها السواحل والمعابر المائية، فأخطر ما تواجهه السفن عند انطلاقها العواصف الهوجاء التي تتسبب في غرق السفن وتحطمها وتمزيق أشرعتها وبالتالي تلاف البضائع، وهذا ما قدمه لنا الرحالة ابن جبير اثناء رحلته المشرقية، فيقول:" ... وزاد البحر اهتياجا ... واستشرت الريح والمطر عصوف حتى لم يلبث منها الشراع... فأخذت الريح أحدها ومزقته وكسرته..."[3].

وكما هو معروف عن سواحل المغرب الأوسط الممتدة من مرسى الجزر الى مرسى ماسين والمعروف بكثرة تعرجاته وخلجانه، والمضائق وما بين الجزر فقد وصفت الملاحة في مضيق جبل طارق بالصعبة خاصة شهر يناير[4]. أما المقري وصفه بقوله:" صعب المجار"[5]. وقد عايش ابن جبير تجربة عبور هذا المضيق وبالتالي فهو صعب على المراكب.

---

[1] . ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تح: عبد الهادي التازي، مطبوعة الاكاديمية المغربية، 1997م، ج4، ص. ص 190-192.

[2] . روبار برتشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م، ج1، تر: حمادي الساحلي، (د. ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص227.

[3] . ابن جبير، رحلة ابن جبير، سلسلة الانيس للطباعة والنشر، ط1، (د.م.ن)، 2010، ص10.

[4] . عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة، مرجع سابق، ص20.

[5] . المقري، المصدر السابق، ج1، ص146.

الأهمية الاقتصادية والحضارية لموانئ المغرب الأوسط.

المبحث الأول: الأهمية الاقتصادية.

- ربط المغرب الأوسط بالعالم الخارجي.
- تنشيط وتنويع المبادلات التجارية.

المبحث الثاني: إقامة علاقات دبلوماسية.

- مع الاندلس.
- مع المشرق الإسلامي.
- مع شبه الجزيرة الإيطالية.
- مع الممالك المسيحية.

المبحث الثالث: الأهمية الثقافية والاجتماعية

- الأهمية الثقافية.
- الأهمية الاجتماعية.

شكلت الموانئ منذ القدم همزة وصل في التجارة بين الدول من جهة، وبين سواحل البحر من جهة ثانية ولا شك أن موانئ المغرب الأوسط للدولة الزيانية كانت تقوم بدور الوسيط في التجارة الخارجية، وبفضلها تمكنت الدولة من ربط علاقات سياسية خارجية مع مختلف المناطق المجاورة، كان لها الأثر البالغ والواضح في الحياة الثقافية والاجتماعية، ولكن سرعان ما بدأ نجم هذه المراسي بالأفول مع تعرض سواحل المغرب الأوسط للاحتلال الاسباني.

المبحث الأول: الأهمية الاقتصادية.

امتازت الدولة الزيانية بموقع استراتيجي هام متمركز على نقطة عبور لمجموعة من المسالك في مختلف الاتجاهات شرقا وغربا وجنوبا لتسهيل عملية التبادل التجاري الداخلي والخارجي. فتعددت المنافذ من بحرية كان أساسها الموانئ الزيانية وبرية خاصة نحو الصحراء الكبرى وبذلك تعددت طبيعة مبادلاتها التجارية تصديرا واستيرادا.

1. ربط المغرب الأوسط بالعالم الخارجي:

تعددت الطرق التي تربط الموانئ الزيانية بباقي الموانئ الشرقية والغربية لربط علاقات تجارية عن طريق المنافذ البحرية التي جمعتها خاصة بدول أوروبا والاندلس والمشرق الإسلامي أو الطرق البرية المتسعة في الصحراء نحو بلاد السوادان الغربي.

أ. المنافذ البحرية:

أ.1-الخط الرابط بين المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي:

عرفت الدولة الزيانية مجموعة من الطرق البحرية ربطتها بمختلف الموانئ المغربية والمشرقية والأندلسية والأوروبية. يعد هذا الخط البحري في البحر البيض المتوسط من أنشط الخطوط البحرية حيث تم نقل الحجاج المسلمين وحتى النصارى إلى البقاع المقدسة، ونظرا لرابطة الجوار الطبيعي والدين الإسلامي، نشأت علاقات اقتصادية تجارية قوية بين دول المغرب الإسلامي ثم مصر وبالتالي الوصول الى لمشرق الإسلامي، بالإضافة الى موقع مصر الذي ساعد الحاج للوصول الى الأراضي

الحجازية، وهذا لا يستثني وقوع توترات سياسية إلا أن المصلحة التجارية والدينية كانت الغالبة على هذه العلاقة[1].

ولبعد المسافة وطول الشريط الساحلي بين المنطقتين، كان من الضروري إنشاء محطات عبور مسالك معلومة تربط بين المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي للتوقف والاستراحة[2].

وأصبح الطريق البحري الساحلي من بلاد المشرق السبيل الوحيد للتبادل التجاري والحج وبعد فحص عدد كبير من الوثائق الجينوية تمكن جوانتين من الوصول إلى قياس مدة السفر برا وبحرا في النصف الثاني من القرن الخامس هجري ولحادي عشر ميلادي والتي كانت واحدة برا وعشرون بحرا[3]. فها هو هلال القطلاني وزير السلطان أبو تاشفين الذي أبحر للحج من هنين في سفن اشتراها بماله واقلع بها، ونزل بالإسكندرية...، ورجع بعد قضاء حجه الى تلمسان"[4]. هنا يتضح دور الطريق البحري الى الحج وما يحمله من أهمية مقرونة بالتجارة وظهر هذا من السفن التي انطلقت من هنين وما حملته من سلع وبضائع.

كما وضح ذلك ابن بطوطة حين وصف تلك الطريق وسماها طريق الساحل مشيرا إلى حياة الاستقرار وفيها التطور[5].

وللدلالة على نشاط هذا الخط في هذه الفترة أن وزير السلطان الزياني أبي تاشفين (هلال الكطلاني) قد ركب البحر حاجا من تلمسان نحو البقاع المقدسة[6].

---

[1] . علي عشي، المرجع السابق، ص 389.

[2] . مجهول، الاستبصار، مصدر سابق، ص 128.

[3] . علي عشي، المرجع السابق، ص 390.

[4] . ابن خلدون، يحيى، المصدر السابق، ص205.

[5] . ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص. ص161. -180.

[6] . ابن خلدون، يحيى، المصدر السابق، ج1، ص136.

وفي سنة 870هـ_ 1466م انتقل بعض تجار تلمسان ووهران إلى المشرق على ظهر سفينة جنوية حيث كانت ترسو في موانئ تلمسان ثم تتجه نحو الشرق أو العكس، تأتي لتلمسان مرورا بموانئ الشرق[1].

حيث تبادلت الدولة الزيانية وبلاد المشرق العديد من المنتوجات فالسلع القادمة من المشرق إلى الدولة الزيانية تمثلت في العقاقير مثل (جوز الطيب، القرنفل، الزنجبيل، القرفة) بواسطة الجنوبيين القادمين من المشرق، أما الصادرة من تلمسان إلى المشرق تمثلت في الجياد لأن الدولة الزيانية كانت تشتهر بتربية الخيول بالإضافة إلى البلسان الذي طلبه السلطان المملوكي فيها وقدره عليه ملك تلمسان " نحن قوم بادية لا نعرف إلا الزيت الذي كان يستعمل في مسح الأجسام لتوفر نعومة البشرة"[2].

أ.2- الخط الرابط بين المغرب الأوسط وبلدان المغرب الإسلامي:

اتضح لنا بأن نقل المغاربة كانت وفق خط بحري يربط موانئ كل من طرابلس وقابس وصفاقس والمهدية وسوسة وتونس وبترت والقالة وعنابة وأصيلا والعريس وسلا والرباط، حيث مارسوا مهنة التجارة عبر موانئ الدولة الزيانية مثل شرشال _ الجزائر_ تلمسان_ وهران_ هنين[3].

وحسب ما أوضحه ابن خلدون هو انه استعماله في القصر السلطاني بتونس لكتابه العلامة السلطانية" الحمد لله والشكر لله" بالقلم الغليظ، حيث توجه الى مدينة تبسة ثم رجع الى قفصة مرة أخرى وهذا دلالة على وجود هذا المسلك الرابط بين تونس وبلاد الزاب عبر قفصة وتبسة.

أما ابن خلدون ارتحل من بسكرة إلى تلمسان مارا بمدينة البطحاء كما استدعاه السلطان المريني إلى مدينة فاس سنة 755ه/1354م، وعند عودته من الأندلس استقر به المقام في منطقة

[1] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 202.

[2] . مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص148.

[3] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص 90.

العباد ومنها البطحاء ثم إلى قلعة البطحاء ثم الى قبيلة بني سلامة، حيث هناك أنجز كتابه " المقدمة" فكل هذه المعطيات تبين أهمية الخط الرابط بين مدن المغرب الإسلامي[1].

وكذلك أبو عبد الله المقري 759ه/ 1357م التلمساني رحل منها الى مختلف حواضر المغرب الإسلامي حيث زار بجاية _ تلمسان _ تونس_ قابس[2].

كما فصل ابن بطوطة في طريق عودته إلى فاس" ركبت البحر في قرقورة لبعض التونسيين حتى جزيرة جربة ثم الى تونس، فاستولى العدوة على مركبهم ثم ابحرنا في مركب صغير الى قابس، فصفاقس، ثم بليانة ثم سافرنا بعدها من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا جزيرة سردانية ونزلنا بمرسى كلياري ومنها وصل بعد عشر الى مدينة تنس"[3].

أ.3- الخط الرابط بين المغرب الأوسط والاندلس.

تأسست عدة طرق تجارية بين العدوتين المغربية والاندلسية وكانت رئيسية للتجارة والابحار والسفر بحيث نجد:

- الأندلس_ بجاية:

بدأت أهمية بجاية تظهر للعيان منذ القرن 6ه/12م اذ أصبحت محطة في التجارة المتوسطية، وبرز الدور الإيطالي في تلك الفترة وخاصة السفن الجنوية التي أصبحت وسيلة نقل أساسية لنقل التجار والبضائع بين الشرق والمغرب، حيث يشير الغبريني عند حديثه عن الفقيه عبد الحق الإشبيلي انه ارتحل من اشبيلية الى بجاية واستقر بها وتوفي هناك[4].

[1] . ابن خلدون، عبد الرحمان، رحلة ابن خلدون، در: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص. ص 65-187.

[2] . علي عشي، المرجع السابق، ص399.

[3] . ابن بطوطة، المصدر السابق، ص. ص664-666.

[4] . الغبريني، المصدر السابق، ص 75.

أما ابن خلدون فقد أشار في عدة مواضع إلى المسلك البحري الرابط بين مختلف مدن الاندلس وبجاية ويعود ذلك للقرب الجغرافي لسواحل المغرب الأوسط بالسواحل الجنوبية للأندلس.[1]

- **الأندلس _ تلمسان**

توجه تجار ومسافري الاندلس على موانئ المغرب الأوسط وخاصة هنيين وتنس ووهران وهذا ما اوضحه ابن خلدون أثناء رحلته الى مدينة رندة بالأندلس ثم رجع الى سبتة ومنها عاد إلى مملكة بني الأحمر كما تم نقل أهله من قسنطينة الى تلمسان وفق أسطول الميرية[2].

- **الأندلس _ وهران**

اتضح هذا الخط المتصل بين وهران واشبيلية في عملية الاستيراد والتصدير حسب ما ذكره عبد الحق البادسي "ت722ه/ 1322م أن قاربا كبيرا كان محملا بالتين والزيت ووصل من إشبيلية الى مرسى بادس للتوجه إلى وهران.

ويذكر القلصادي أثناء رحلته المشرقية انطلق من الاندلس إلى تلمسان ثم وهران إلى تونس وجربة وطرابلس والإسكندرية[3].

- **الأندلس _ بني مزغنة**

ازدهر هذا الخط بعد سقوط غرناطة و الذي يربط بين الجزائر والميرية مرورا بسبتة كما رحل من أهل بلنسية عبد الله ابن عبد الرحمان بن عبد الله بن موسى المعروف برطلة "ت 661ه/ 1262م" نحو الجزائر فتولى قضاءها[4].

---

[1] . علي عشي، المرجع السابق، ص408.

[2] . ابن خلدون، الرحلة، مصدر سابق، ص. ص 90-91.

[3] . القلصادي، أبو الحسن علي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الاجفان، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص95.

[4] . الغبريني، المصدر السابق، ص270.

أ.4-الخط الرابط بين المغرب الأوسط واروبا " المسيحية"

ارتبطت الدولة الزيانية تجاريا مع مختلف المدن كقطلونية وفلورنسا وجنوة ومملكة الأراغون، فالتجارة البحرية من اهم الأنشطة الاقتصادية التي ربطت بين أوروبا والدولة الزيانية وتعتبر حلقة وصل بين الدول الأوروبية والسودان الغربي[1]، فأضحت مقصدا للتجار من كل جهة حيث يقول القلصادي " ويقصدها تجار الافاق للتجارة"[2].

فيذكر حسن الوزان مدينة وهران "عدت مهبطا للتجار القطلانيين والجنوبين"[3]، وحسب ابن خلدون يقول" ان أبو حمو اتجه الى المشرق مع تجار النصارى المترددين الى تلمسان مع القطلان وركب معهم من ميناء وهران في السفن"[4]. وهذا ما يوضح ان القطالانيون متعودين على التجارة مع الزيانيين ويحملون ويتاجرون بها مع المشرق بعدها.

وجاء أحد كتاب الملك الزياني لاستلام ضرائب من سفينة جنوبية حملت من الضرائب ما يمون تلمسان لمدة 5 سنوات وبلغت الرسوم التي قبضتها الملك عشرة الاف مثقال من الذهب المسكوك[5]. وان كانت الحمولة مبالغ فيها على ان تكفي تلمسان، ورسالة وجهها السلطان الزياني بن يغمراسن بن عثمان بن موسى نصها" وان اردتم سلف ذهب نسلف لكم ما تيسر بعد ان تطونا ضمان الرهان في الذهب"[6].

---

[1] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص192.

[2] . علي عشي، المرجع السابق، ص415.

[3] . عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص. ص 136-137.

[4] . التنسي، المصدر السابق، ص180.

[5] . لخضر العبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط1، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، 2011م، ص. ص 193-194.

[6] . عمر سعيدان، علاقة اسبانية القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن14م، ط1، منشورات سعيدان الجمهورية التونسية، نوفمبر، 2002م، ص. ص 65-66.

وكانت هذه العلاقات التجارية تحددها معاهدات نذكر منها:

هناك معاهدة سنة 1286م بين الدولة الزيانية ومملكة الاراغون، وتمت بين ابن سعيد عثمان بن يغمراسن 1282م_ 1303م ملك تلمسان، وبين ملك اراغون 1217م_ 1285م حيث نصت المعاهدة على عدة أمور من بينها تجارية وتنظيمية في الميدان التجاري وفي مادتها الثانية نصت على حق مملكة الأرغون في استيراد المواد الغذائية التي يحتاجها الملك مع إعفاء كل ما يلزم الملك شخصيا من الضرائب.

وفي سنة 1383م أرسل الأمير الزياني محمد الثاني مبعوثا الى البندقية ليقدم له اقتراحا بفتح قنصلية ويعقد معاهدة سلم وتبادل تجاري مدام فندقهم تحت حماية القنصل الاراغوني، ولقد امتلكوا في وهران فندقا ومركزا تجارية تحت اشراف القنصل. كما حدث مع السلطان الملك بتروا الرابع 1360م/ 1361م يضمن الامن للجهتين برا وبحرا ويتمثل في عدم تعرض تجار البلدين وسلعهم للخطر[1].

ب. المسالك البرية:

امتازت الدولة الزيانية بموقع استراتيجي هام متمركز على نقطة عبور لمجموعة من المسالك في مختلف الاتجاهات شرقا وغربا وجنوبا لتسهيل عملية التبادل التجاري الداخلي والخارجي.

فيذكر ابن بطوطة في رحلته الطريق التي سلكها رفقة مجموعة من التجار بداية من المغرب الأقصى فمن طنجة الى تلمسان فلميانة ثم الجزائر وبجاية فقسنطينة الى بونة ثم تونس فسوسة الى صفاقس ومنها الى قابس ثم طرابلس الى الإسكندرية[2].

وهناك طريق آخر ممتد من ساحل تونس إلى بترت فطبرقة فالقالة ثم مرسى الخرز إلى بونة إلى أن يصل بجاية مرورا بسكيكدة والقل وجيجل ليصل إلى جزائر بني مزغنة مرورا بشرشال وتنس ووهران وهنين ليدخل المغرب الأقصى أو ينتقل الى الاندلس[1].

---

[1] . نفسه، ص163.

[2] . ابن بطوطة، المصدر السابق، ص. ص 31-36.

ونجد طريق يمتد عبر الهضاب مرورا بالجريد ثم الأوراس ليتجه إلى الشمال عبر ممر الحضنة إلى قسنطينة ثم بجاية ثم بجاية فلميانة ويمر بحوض شلف الى تلمسان ومنها إلى تازة ثم فاس ومكناس وصولا إلى مراكش[2].

أما الطرق التجارية بين تلمسان الزيانية وبلاد السودان فكانت تنطلق من تلمسان فتتجه غربا نحو فاس ومن هناك تأخذ طريقها إلى سجلماسة نحو بلاد السودان فتقطع رحلاتها عبر ثلاث مراحل كبرى[3].

وذكر الرحالة ابن بطوطة الطريق الذي سلكه الى بلاد السودان الغربي، رفقة قافلة تجارية بها تجار من تلمسان ...ويبدأ من سبتة إلى أصيلا ثم سلا فمراكش الى مكناس ليصل إلى سجلماسة ثم تغازي فتارسرملا الى ايولاتن ليتوغل في مناطق السودان[4].

وسلك ابن بطوطة في طريق رجوعه من أرض السودان طريقا غير الذي ذهب معه فمن مدينة كوكو إلى تكدا مع قافلة كبيرة للغدامسيين، ومنها إلى بردامه ثم إلى كاهر، ووصل بعدها إلى موضع الذي يفترق به طريق غات الأخذ إلى ديار مصر وطريق توات[5].

وفي طريق رجوعه يذكر أنه سلك من ارض السودان طريقا غير الذي ذهب معه" فمن مدينة كوكو إلى تكدا ومنها إلى بردامة ثم إلى كاهر، ثم وصل إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات...".

ثم واصل طريقه إلى بلاد هكار بعد عشرة أيام ليضل الى بودا من قرى توات ثم سار مع القافلة إلى سجلماسة ومنها الى فاس[1].

---

[1] . علي عشي، المرجع السابق، ص387.

[2] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص78.

[3] . مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 1426-1427ه/ 2005-2006م، ص313.

[4] . ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 683-685.

[5] . ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 702-706.

وينطلق مسلك من تلمسان إلى توات نحو الجنوب إلى وادي معروش واخر الى صفوري ثم تاوله فاغمات ثم درعة فسجلماسة، فيخرج إلى تغازي ثم ولاتة وينتهي بتمبكتوا إحدى مدن مالي[2]. ليتفرع الطريق التجاري داخل ممالك السودان الغربي من إيوالاتن إلى زاغري ثم نهر النيجر، حيث بلد كارسخو من مملكة مالي ومنها إلى باقي المدن[3].

2-تنشيط وتنويع المبادلات التجارية.

منذ نهاية القرن 6ه/ 12م وبداية القرن7ه/13/، توافد عل الدولة الزيانية عدد هام من تجار أوروبا خاصة من فرنسا، ارغون وقشتالة وأقاموا بمدن وهران وتلمسان وهنين ومنها تابعو عملياتهم التجارية لأن معظم التجار مسيحيين كانوا ينشطون بصفة خاصة في عاصمة الدولة تلمسان.

أ-الصادرات: شملت صادرات الدولة الزيانية والتي كانت الموانئ معبرا لها في عدة مواد متنوعة نذكر منها:

أ.**1. المواد الغذائية:** تتمثل في الحبوب كالقمح والشعير الذي كان ينتج في الجهة الغربية للمغرب الأوسط حيث عد من اجود أنواع القمح والفائض منه كان يصدر الى أوروبا فتحمله سفن من وهران إلى مرسيليا ومن هنين الى برشلونة وميورقة[4]، وفضلا عن بعض الفواكه التي كانت تنتجها أراضي المغرب الأوسط منها التمور والبندق والزبيب والتين المجفف الذي يصدر إلى كثير من الأقطار[5]، وكان الإيطاليون يشترون الفواكه المجففة كاللوز والجوز[6].

أ.**2. المواد الأولية:** نذكر منها ما يلي:

- **الصوف:**

---

[1] . نفسه، ص 702-707. .

[2] . بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص196.

[3] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص. ص 86-87.

[4] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص195.

[5] . الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص57.

[6] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

تعد الصوف من المواد الغام التي تصدر من موانئ المغرب الأوسط الى جهات مختلفة من ميناء هنين ووهران وتنس ومستغانم وشرشال إلى جهات مختلفة من أوروبا والاندلس وتحديد الامارات الإيطالية والمدن الفرنسية لذا كان المغرب لفترة طويلة واحد من أسواق التمويل الأكثر أهمية وخاصة مدينة بجاية بالنسبة للمغرب الأوسط، حيث غالبا ما تتم الإشارة الى صوف بجاية سواء في شكل زجح بدهنها أو مغسولة[1].

- **الجلود:**

تتمثل في جلود الغنم والعجول والثيران والبقر والمعز حيث أقبل على شرائها الميورقيون والقطلانيون لحاجتهم اليها في صناعة السفن[2].

- **الذهب:**

يعتبر الذهب من أكثر السلع طلبا في حوض البحر المتوسط خلال العصر الوسيط، تسابق التجار المغاربة نحو بلاد السودان لاقتناء الذهب الذي كان متوفرا بكثرة بقاو واودغشت وغانة وجازف التجار وسط الصحراء وراحوا يبحثون عنه لأجل بيعه للتجار الأوروبيين، وكان ذهب السودان يغذي ما يقرب من نصف حاجة عالم البحر المتوسط، والى جانب الذهب يتزود التجار المغاربة ببضائع افريقية المتنوعة والتي تساهم في الزيادة في الأرباح مثل الشب، التوابل، المسك، والجلود والعاج وريش النعام[3].

- **المرجان:**

اشتهرت مدينة مرسى الخرز باحتوائها على اجود أنواع المرجان في العالم، فكانت بذلك مقصدا للعديد من التجار خاصة الاندلسيين منهم، وكان هؤلاء تستهويهم تجارة المواد الشرقية المربحة الى ابعد حد فكانت وجهتهم المناطق الشرقية من المغرب الأوسط وكان على رأسها المرجان، وقد عمل هؤلاء التجار على استئجار عمال لاستخراج المرجان ويستخرج منه الكثير

[1] . خديجة بورملة، مرجع سابق، ص143.

[2] . نجية بوذباح، فطيمة بومسيلي، المرجع السابق، ص48.

[3] . خديجة بورملة، المرجع السابق، ص 140.

الذي يباع بالأموال الطائلة، وكان التجار الاندلسيون يستوردون هذه المادة ثم يوجهونها نحو التصدير نحو سائر البلد خاصة الى الهند والصين[1].

– العبيد:

ارتبطت تجارة العبيد بتجارة الذهب كون مصدرهما واحد وهو بلاد السودان، وقد شكل العبيد بضاعة رئيسية في قائمة السلع التي يجلبها التجار المغاربة من بلاد السودان، وكان العبيد مثل الذهب من السلع التي يأتي التجار الاندلسيون لاقتنائها من بلاد المغرب[2].

وزاد إقبال تجار المغرب الأوسط على اقتناء العبيد السود بكثرة بهدف تصديرهم نحو الاندلس وذلك لأجل اتخاذهم ضمن الحراس الملكي من قبل بني أمية. إضافة الى ذلك نجد تكاثر عدد العبيد السود القادمين عن طريق تلمسان وبلاد المغرب من افريقية فلقد كان الأسرى والعبيد الواردون من إفريقيا السوداء عادة في قطلانيا وآراغون[3].

وتمت هذه العملية التجارية مع المسلمين في المراسي وأحيانا يتم البيع بالدلالة بواسطة الدلال المخصص والقانوني بالميناء[4].

وكان العبيد مثل الذهب يأتي التجار الأوروبيون لاقتنائها من المغرب وكانت اسعارهم تختلف حسب الزمان والاعمار والجنس وتقلبات العرض والطلب. كما اشتهرت تلمسان بهذه الثروة وكذلك ميناء بجاية تاجر بالعبيد[5].

لكن يجب التنويه في هذا السياق الى أن هذه الصادرات لم تكن ثابتة لا من حيث الحجم والصنف ولا النوع ربما نظرا للظروف الطبيعية التي تحدث غالبا كالجفاف والسياسة كالحروب مما يترتب عنه تراجع في وتيرة الإنتاج.

---

[1] . أسماء خلوط، المرجع السابق، ص255.

[2] . خديجة بورملة، المرجع السابق، ص141.

[3] q . عمر سعيدان، المرجع السابق، ص31.

[4] . عمر سعيدان، المرجع السابق، ص57.

[5] . مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص330.

– الخيول:

قامت دول المغرب الأوسط بتصدير الخيول فنجد مصر قد تجاريا مع المغرب الأوسط نظرا لرغبة سلاطين المماليك مصر في شراء الخيول المغربية الاصيلة وحرصهم على الاستزادة من خيول المغرب الأوسط وذلك لما تمتاز به من الشدة والصبر على المتاعب والسرعة الفائقة، فقد كلف السلطان الظاهر برقوق ابن خلدون بالكتابة الى صاحب تلمسان يطلبه في الخيل العتاق[1]. وذكر ابن خلدون في رحلته أن هدية صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموهة والأحمال ممن الأقمصة [2].

– زيت الزيتون:

يعد من اهم الموارد الأساسية لبلاد المغرب حيث يقومون بإنتاجه منذ عهد الرومان فقد تمتع زيت بجاية بشهرة واسعة في العور الوسطى[3].

ب–الواردات:

من المعلوم أن الدول في مختلف العصور تستورد ما تفتقد اليه من بضائع او سلع او لا تستطيع توفيره بكفاية وربما كان ما تستورده يدخل ضمن الكماليات وتلبية اذواق المستهلكين، فبعض الناس خاصة الميسورون منهم تطمح أنفسهم إلى اقتناء ما يجلب من الآفاق البعيدة ليكون لهم التميز على الناس، وهذه القاعدة وجدت في المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط ومنها المجتمع الزياني، وانطلاقا من هذه المعطيات فان واردات الدولة الزيانية اشتملت على ما يلي:

[1]. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج5، ط، ص. ص 166-177.1، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1994م، ص. ص 166-177.

[2]. ابن خلدون، عبد الرحمان، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، (د. ط)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م، ص345.

[3]. سليمان غربي، حمزة سمينة، المرجع السابق، ص. ص71-72.

– التوابل:

شكلت التوابل أحد أهم واردات المغرب الأوسط وذلك لقيمتها التجارية حيث تعد من البضائع الخفيفة الوزن والغالية الثمن ولقد لعبت مصر دور الوسيط التجاري في توزيع هذا النوع من السلع[1]، وتمثلت هذه التوابل أساسا في جوز الطيب والقرنفل والزنجبيل والقرفة، وكل هذا بواسطة التجار الأوروبيين بحرا او القوافل التجارية برا[2].

– النسيج:

استهلكت الدولة الزيانية الحرير والصوف والقطن الذي يصنع منه الاقمشة والاغطية، حيث دخل التجار الى أسواق تلمسان كميات كبيرة ومتنوعة من الاقمشة والاغطية القطنية القادمة من البندقية وبيزا ذات اللون الأزرق الناعم الذي كان يفضله ملوك الدولة الزيانية ورجال الحاشية، وهناك من الاغطية والاقمشة الكتانية والقطنية الناعمة والخشنة الخاصة بالفنادق والمخازن، وأيضا الاقمشة والاغطية الصوفية الشبكية البيضاء والسوداء والشملة[3].

– السفن والأسلحة:

كان المغاربة يشترون السفن من المسيحيين خاصة منهم البنادقة والجنويين لأن هذه الصناعة كانت متطورة عندهم وبالرغم من تدخل الكنيسة لبيع السفن ووسائل الملاحة للمسلمين جراء الحروب الصليبية إلا أن إيطاليا واصلت عملية البيع في جميع موانئ بلاد المغرب[4].

كما اضطرت الدولة الزيانية إلى استيراد الخشب لصناعة السفن من مختلف الدول المغربية[5] رغم توفر الأخشاب في المغرب الأوسط حيث اشتهرت بأشجارها التي كانت تستعمل في قطع

---

[1] . خديجة بورملة، المرجع السابق، ص151.

[2] . نفسه، ص140.

[3] . نجية بوذباح، فطيمة بومسيلي، المرجع السابق، ص40.

[4] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص224.

[5] . نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن 4ه الى 8م، (د. ط)، (د. م. ن)، تونس، 1876م، ص62.

الأسطول الحربي[1]. وهذا راجع لكثرة الحروب والتراعات التي عاشتها الدولة الزيانية خاصة في مرحلتها الأخيرة[2]، ولقد ظهر من المراكب في العهد الزياني قطع الاسطول الحربية الكبيرة، والسفن التي كانت تصل إلى موانئ تلمسان سفن مختلفة منها أنواع متعددة واشكال مختلفة منها: البسطة، الجفنة، الشونه والطراد[3].

كما كانت الأسلحة تجلب من إيطاليا وألمانيا مثل الزرود والرماح والدروع...[4]

– المعادن:

تم استيرادها عن طريق ميناء هنين والمتمثلة في التحف المعدنية والأسلحة وآلات السفر والحديد والقصدير والفولاذ وحتى السكاكين والأخماس المذهبية[5] التي كانت تجلب على شكل قطع وصفائح وخيوط وكانت الاواني النحاسية تدخل عن طريق غرناطة[6].

– القمح:

فرغم ما اشتهرت به المملكة من وفرة في انتاج الحبوب الا انها لجأت في العديد من المرات الى استيرادها وذلك خلال سنوات القحط والجفاف مما يؤدي الى انخفاض المنتوج، وحتى الحروب كانت عاملا أساسيا في افساد المحصول مثل ما حدث في حصار تلمسان الذي قارب الثمان سنوات فاضطرت الدولة للاستيراد[7].

– الحلي:

---

[1] . رشيد بورية، وآخرون، الجزائر عبر التاريخ الإسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني، (د. ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص471.

[2] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص224.

[3] . نفسه، ص. ص95-96.

[4] . نجية بوذباح، فطيمة بومسيلي، المرجع السابق، ص42.

[5] . المقري، المصدر السابق، ص. ص 201-202.

[6] . نجية بوذباح، فاطمة بومسيلي، المرجع السابق، ص43.

[7] . نفسه، ص42.

كانت تستورد على شكل مجوهرات يجلبونها من الهند والخليج العربي، ونقل الايطاليون كميات كبيرة من الأدوات الزجاجية الى كل المدن الساحلية المغربية[1].

3-أثر المبادلات التجارية:

عرفت بلاد المغرب الأوسط في العهد الزيان حركة تجارية واسعة بفضل موانئها فبرزت في المجتمع التلمساني عدة عائلات عرفت بنشاطها التجاري الواسع واشتهرت بالغنى ويسر الحال أهمها عائلة المقري وعائلة النجار التي اشتهرت بحياكة الصوف والتجارة فيه مع مختلف البلدان، إضافة الى عائلة المرازقة. وقد كان هؤلاء في مرتبة راقية وجنوا أرباح كثيرة بفضل تجارتهم عبر الموانئ فاجتهدوا في شراء العقارات والأراضي وبناء المنازل، ونافسوا بذلك أصحاب المناصب العليا.[2] هذا انما يدل على اتساع مجال التجارة للعائلات التلمسانية.

كما شكلت عائدات الدولة الزيانية بفضل تجارتها الخارجية مقادير معتبرة فعلى سبيل المثال كانت عائدات مملكة تلمسان كما ذكر الحسن الوزان من ميناء وهران يعرف ان كانت تابعة لها بقدر ما بين ثلاثمئة ألف واربعمئة ألف دينار، هذه العائدات كان لها أثر إيجابي في مستوى دخل الفرد لدى فئات المجتمع[3].

وقد شكلت موانئ الدولة أحد عوامل اثراء بيت مال الدولة الزيانية من خلال العشور أي الضرائب التي كانت تفرض على البضائع الصادرة منها والواردة اليها، وقد قدرت ب 10/1 من قيمة البضائع، فقد كانت لتلمسان مصالح جمركية في كل من العاصمة والموانئ الرئيسية التابعة لها كهنين وتنس وجزائر بني مزغنة. إضافة الى ذلك كن يوجد داخلها ما يعرف بالقيصرية[4]. وقد عرفت هذه المصالح بديوان البحر[5].

[1] . نجية بوذباح، فطيمة بومسيلي، المرجع السابق، ص40.
[2] . عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص. ص214-215.
[3] . عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص180.
[4] . مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص116.
[5] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص215.

وقد كانت تدفع الضرائب على السلع المستوردة من أوروبا أما في الميناء او في العاصمة، وقد ذكر حسن الوزان اثناء اقامته بالدولة الزيانية انه شهد بنفسه أخذ ضريبة من سفينة جنوة في ميناء هنين كانت تحمل بضائع لتلمسان[1].

المبحث الثاني: إقامة علاقات دبلوماسية.

تزامنا مع العلاقات التجارية التي ربطت الدولة الزيانية بباقي المناطق سواء المشرقية منها او الأوروبية فقد ساهمت الموانئ كذلك في ربط علاقات دبلوماسية أيضا بين هذه الأقطار لربما كان سببها الرئيس هو العلاقات الاقتصادية وحاجة كل دولة الى تعميق روابطها التجارية خاصة وأن الاقتصاد بمثابة العصب المحرك للدولة ودليل قوة الدول وبالتالي سارعت إلى إقامة علاقات سياسية مع بعضها البعض غلب عليها الطابع الحسن.

– مع الاندلس:(بنو الأحمر):

هناك جملة من الأحداث التاريخية التي تبين لنا طبيعة العلاقات القائمة بين الدولة الزيانية ودولة بنو الأحمر، والتي يمكن وصفها بالحسنة من البداية حتى نهايتها.

فنجد بنو الأحمر هم السباقين لإقامة علاقات مع بني زيان وذلك عندما استنجدوا بهم ضد بني مرين، ومن ملامح المساندة والتعاون استنجاد بني زيان في عهد يغمراسن بن زيان بدولة بني الأحمر اثناء الزحف المريني على تلمسان وكان لبني الأحمر نفوذ كبير على الدولة المرينية مما أدى الى رفع الحصار عنها اثناء السماع بقدوم الجيش الغرناطي الى فاس بالتحالف مع ابي حمو الثاني واستطاع ان يعود الى عرش بلاده[2].

[1] . بسام كام شقدان، المرجع السابق، ص209.

[2] . عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج5، ص. ص 166-177.

كما أن الدولة الزيانية ظلت مفتوحة أمام أهل الاندلس منذ بداية حرب الاسترداد وتنصيب محاكم التفتيش[1] حتى آخر أيام المسلمين في المنطقة، فوصل الأمر ببني زيان إلى درجة اشراكهم في شتى شؤون الامارة فكان" ابن الوضاح" مع جالية من مسلمي شرق الاندلس اول من وفد على دولة بني زيان بعد تأسيسها وانفصالها، فأثره يغمراسن واكرم نزله وجعله من اهل الخلة والشورى، فاشتغل وظيفة الخطبة والشورى كما وظف" أبو محمد عبدون بن محمد الحباك" في وظيفة الخطابة والقضاء، و" ابي بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب" المرسى الاندلسي كاتبا للرسائل، بما رأى فيه من درجة كبيرة من البلاغة والاسترسال وصنعة الشعر[2].

كما اشتغل بعض أهل الاندلس مناصب عليا في الدولة من أولئك نجد" بنو الملاح" الذين اختصهم السلطان بحجابته سائر أيامه نظرا لما عرفوا به من أمانة وإخلاص، فاستمرت خدمتهم على عهد عثمان بن يغمراسن وأبي حمو الأول كوزراء[3].

- مع المشرق الإسلامي(مصر):

ربطت الدولة الزيانية عدة علاقات دبلوماسية مع مصر، فقد شكلت رابطة الإسلام والتبادل الثقافي ودور الازهر ثم رابطة الحج باعتبار مصر مجاز الحجاج المغاربة الى الأراضي الحجازية المقدسة.

وقد أورد ديوان الانشاء المصري في العهد العصر المملوكي صور رسائل متبدلة بين سلاطين بني زيان والمماليك، فنجد السلطان برقوق الذي كان دائم الاتصال بسلاطين المغرب انه كتب كتابا الى سلطان تلمسان من بني عبد الواد وذلك سنة 799ه/ 1397م، كما حمل له هدية

[1] . كانت في الغالب موجهة ضد المسلمين لتمد نشاطها بعد ذلك لبعض اليهود الذين شكلوا الأقلية التي لا تمثل خطرا حقيقيا على اسبانيا ثم امتدت الى المسيحيين البروتستانت لان الكنيسة الكاثوليكية هي التي كانت ترعى هذه المحاكم. ينظر: عبد العاطي محمد الورقلي، أوراق اندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1990، ص140.

[2] . ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7، ص106.

[3] . من بين هؤلاء: محمد بن ميمون بن الملاح الذي تولى الوزارة في عهد ابي حمو الأول وهو من رجال المال والاعمال الذين قدموا من قرطبة واستقروا بتلمسان، ثم ابنه محمد الأشقر بن محمد بن ميمون بن الملاح الذي تولى الوزارة والحجابة. ينظر: نفسه، ج7، ص. ص 140-141.

فاخرة عبارة عن القماش والطيب والقسي، وحمل السلطان الزياني ابي حمو هدية عظيمة عاد بها الرسول المملوكي الى القاهرة[1].

ومن هنا فإن العلاقات والصلات المصرية مع أمراء بني زيان في تلمسان قد اتسمت بالمودة والاخوة، فبالإضافة الى تبادل الهدايا، ونظرا لرغبة سلاطين المماليك مصر في شراء الخيول المغربية الأصيلة وحرصهم على الاستزادة من خيول المغرب الأوسط وذلك لما تمتاز به من الشدة والصبر على المتاعب والسرعة الفائقة، فقد كلف السلطان الظاهر برقوق ابن خلدون بالكتابة إلى صاحب تلمسان يطلبه في الخيل العتاق المنتقاة[2]. وذكر ابن خلدون في رحلته " ان هدية صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموهة والأحمال ممن الأقمصة"[3].

وقد كانت هذه الخيول من المغرب صحبة التجار والرسل الذين يرسلهم السلاطين للمماليك. كما كان التجار المصريون بدورهم يذهبون بمنتجاتهم لبيعها في بلاد المغرب.

كما ترجم السخاوي لمجموعة من العلماء عاشوا في القرن التاسع للهجري وفدوا على المدن المصرية والحجاز والعراق وبلاد الشام مرافقين القوافل التجارية بعضهم من تلمسان، هذا بالإضافة للنشاط التجاري حيث شهدت الإسكندرية مجموعة من الافراد من وهران وتلمسان مزاولة نشاطهم في عهد المماليك [4]الا انها كانت قليلة ربما لما كانت تعانيه من سلب قراصنة رودس وصقلية[5].

[1] . عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج5، ص159.

[2] . عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج5، ص 160.

[3] . ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته، مصدر سابق، ص345.

[4] . لخضر مشرق، الأهمية الاستراتيجية للمغرب الأوسط في العهد الزياني، مذكرة ماستر، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، 2015م، ص54.

[5] . بسام كمال عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص202.

ونجد أن التجارة مع المشرق كانت على متن السفن الأوروبية حيث بعث أبو تاشفين والده أبو حمو مع بعض لتجار النصارى المترددين الى تلمسان من القطلان على حملة الى الإسكندرية منطلقا من وهران[1].

- مع شبه الجزيرة الإيطالية:

إن الجانب السياسي للعلاقات السياسية بين الجمهوريات الإيطالية والمغرب الأوسط ميزه النشاط الاقتصادي، وكانت التجارة الرابط بينهما، حيث وجدت قنصليات خاصة في تلمسان لعبت الدور التجاري والدبلوماسي والسياسي فكان لكل دولة أكثر من قنصل في الدولة الزيانية يمثلونها في المدن الساحلية الهامة مثل وهران، هنين، المرسى الكبير حيث كان السلاطين الزيانيين يتركون حرية التصرف للإمارات الإيطالية وكان القناصل يسكنون الفنادق الخاصة في كل من تلمسان ووهران، وكانت موانئ وهران والمرسى الكبير تستقبل سفنهم الكبيرة التي كانت تقيم اكثر من عشرة أيام[2].

هذ ما يؤكد أن العلاقة كانت تجارية فقط وليست دبلوماسية بين القطرين. ومن مظاهر ذلك أن السلاطين الزيانيين تركوا كامل الحرية للإمارات الإيطالية في إدارة شؤون الكنائس، كما تردد تجار البندقية على الحمامات العمومية للمدينة[3]، وفقا للمعاهدة المبرمة مع الدولة الزيانية واعتبر القنصل واسطة بين الجالية الإيطالية والعاهل الزياني.

لكن هذا لا يستثني الاعتداءات البحرية التي كانت تتم في إطار القرصنة والتي أشار اليها الوزان[4]، والعداء في إطار النداء الذي وجهه البابا لمساعدة اسبانيا ومهادنتها الى ان يتم لها اخضاع شمال افريقيا والمناوشات التي تحصل في عهد السلطان ابي ثابت محمد الخامس ضده انتقاما لما احله هؤلاء بمسلمي صقلية، فقد ظلت العلاقة ودية تجارية تحكمت فيها المبادلات التجارية وظلت على ذلك حتى بعد الغزو الاسباني بسواحل المغرب الأوسط.

---

[1] . التنسي، المصدر السابق، ص180.

[2] . سليمان غربي، حمزة سمينة، المرجع السابق، ص78.

[3] . عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 138.

[4] . حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30.

- مع الممالك المسيحية (كتالونيا، اراغون، قشتالة):

كانت العلاقة لا تتعدى المجال التجاري، بل ميزه السلم تارة والحرب تارة أخرى. ففي السلم كان النشاط التجاري غالب على هذه العلاقات باعتبار تلمسان همزة وصل بين البضائع الافريقية والأوروبية، فيذكر ابن خلدون: "أن أبو حمو اتجه نحو المشرق مع بعض التجار النصارى المترددين إلى تلمسان من القطلان وركب معهم ميناء وهران في السفن وكانت هذه المعاملة التجارية تحددها معاهدات نذكر منها:

- معاهدة تلمسان سنة 1268م مع مملكة اراغون.
- معاهدة 1339م مع ميورقة[1].

وكان اليهود يقومون بدور الوسيط التجاري ما بين قطلونية وتلمسان وكانوا يقرضون ملك برشلونة ما يحتاجه من أموال ويشجعونه على التعامل مع يهود تلمسان ومكلفين بمقايضة الذهب الوارد مع بضائع المملكة واتخذهم الملوك ممثلين وسفراء لهم لدى سلاطين بني زيان "كألفونسو الثالث "و "جاقمو الثاني "ملك ارغون[2].

أما حالة الحرب تميزت بغارات الاسبان على سواحل المغرب الإسلامي الاستراتيجية فاحتلوا عددا منها مثل المرسى الكبير 1505م، وهران1509م، ب جاية1510م.

وبخصوص تلمسان فقد خضعت لهم بسبب ضعفاء الشخصية من سلاطينها الذين كان همهم الوحيد الظفر بالحكم بغض النظر مع من يتحالفون لوصول الى سدته، حتى ولو كانوا اسبانا مسيحيين إلا أن التلمسانيين استقبحوا مثل هذه التصرفات واستنجدوا بالأخوين المسلمين عروج وخير الدين، فاشتد الصراع بين القوتين الاسبانية والعثمانية على تلمسان الزيانية إلى أن دخلت في

[1] . رشيد بوروبة وآخرون، المرجع السابق، ص 478.

[2] . عمر سعيدان، المرجع السابق، ص. ص33-34.

كنف الدولة الجزائرية بعد أن ضمها صالح ريس عام 962ه/ 1554م بخلع آخر سلاطينه وهو الحسن بن عبد الله الثاني[1].

المبحث الثالث: الأهمية الثقافية والاجتماعية.

جمعت الموانئ الزيانية بين عدة أدوار فبالإضافة الى الأهمية الاقتصادية والتي كانت هي الأساس الذي نبعت منه علاقات سياسية بين الدول، فقد كان للموانئ دور ثقافي اجتماعي مزجت فيه بين التبادل الثقافي خاصة بين بلاد المغرب الأوسط والدولة الزيانية الى التمازج الاجتماعي الذي خلف أثرا كبيرا بالنسبة للمنطقتين لكن سرعان ما بدأ دور الموانئ في التراجع شيئا فشيئا مع حلول القرن السادس عشر.

1- الثقافية:

لقد كان للصلات بين المغرب الأوسط ودول ما وراء البحر دور في النهضة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط، فالعلاقة بالعدوة الاندلسية عبر الموانئ أثر واضح في النهضة العلمية والثقافية التي شهدها المغرب الأوسط وتجلى ذلك في اسهامات العلماء الوافدين الى تلمسان[2].

فظلت المدن الزيانية مفتوحة أمام أهل الاندلس أيام محنتهم من هؤلاء العلماء نجد: " محمد بن عبد الله بن داوود" الذي وفد الى تلمسان وكان من أبرع الكتاب خطا وادبا وشعرا، وبها كتب عن يغمراسن بن زيان وتوفي بها سنة 636ه، والفقيه" محمد بن يوسف بن سعادة الاشبيلي" الذي كان مجود للقرآن ضابطا محدثا، والقائمة طويلة جدا[3].

[1] . حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة الجديدة، ع2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432ه/ 2011م، ص155.

[2] . الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مصدر سابق، ص18.

[3] . ابن خلدون، يحيى، المصدر السابق، ص. ص69-70.

ومن الأسر أيضا التي قدمت الى بلاد المغرب الأوسط أسرة " بنو الملاح" الذين احترفوا سك النقود وأمور الدخل والخراج وسكنوا بتلمسان واشتغلوا بالزراعة كذلك[1]. فنجد هنا ان مهاجري الاندلس باختلاف حرفهم واعمالهم قد ساهم ولو بالشكل القليل في امتزاج الثقافة المغربية مع الاندلسية وكذلك ساهم هؤلاء في النهضة الفكرية للمغرب الأوسط لما كان منهم العالم والكاتب والشعر. كما ترعرع أبو حمو موسى وهناك أقبل على جلسات الدرس فتذوق الشعر والأدب والفن، فيقيم بها المآدب الفخمة في بلاط تلمسان[2].

أما لسان الدين الخطيب فيرى في دولة بني زيان وطنا ثانيا ربما يكون احن عليه من بلاد الاندلس، واكتسب هذا الإحساس خلال فترة زيارته، فلمس طيبة سلاطينها حينما نشد قصيدته السنية لأبي حمو[3].

كما احتكروا قطاع التعليم في المغرب الأوسط لا سيما المدن والحواضر، ونالوا نصيبا في تدريس علوم اللغة والآداب، والفن والموسيقى وبينما كان السكان المحليون مسيطرين على ميدان الشريعة والعلوم الدينية كانت الميادين الأدبية حليفة الاندلسيين من الخط الى النحو والبلاغة والشعر والتاريخ والموسيقى، فساهموا في تجديد طرق التدريس عن طريق المحاورة والمذاكرة والقاء الأسئلة[4].

كما أدخل الاندلسيون فن الموسيقى كمؤثر ثقافي اندلسي كما أدخلوا آت موسيقية أندلسية مثل العود والرباب والكمنجة والصنوج والدربوكة وأحيوا المواليد والاخوانيات وقصائد المديح والغزل والتشبيب ووصف الطبيعة والرثاء وشعر الحرب.

---

[1]. نفسه، ص. ص198-199.

[2] . دهينة عطاء الله، مساعدة الزيانيين لمسلمي الاندلس، مجلة: تاريخ وحضارة المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع13، ص8.

[3] . المقري، المصدر السابق، ج6، ص195.

[4] . سليمان غربي، حمزة سمينة، المرجع السابق، ص81.

أما فيما يخص علاقة المغاربة بالدول الأوروبية فقد بدى التأثير واضحا في شتى الميادين الفكرية والثقافية، فاهتم الأوروبيون بالثقافة الإسلامية وعلومها ولجئوا الى تعلم اللغة العربية وترجمة المعارف العربية والاسلامية الى مختلف اللغات اللاتينية[1].

أما عن بلاد المشرق ولما كانت مصر طريقا للحجاج الوافدين لبلاد المغرب فطالما انتهز هؤلاء الحجاج الفرصة لحط رحالهم بجامع الازهر يغترفون العلم والمعرفة ويتعرفون على الحضارة الإسلامية التي كانت مزدهرة بالقاهرة. ومن صور ذلك كان في الازهر الشريف رواق خاص بالمغاربة كان يتخرج منه العلماء الذين كانوا يرحلون الى المغرب وبعض منهم يفضلون البقاء والتدريس في الازهر. وقد وصل العديد من علماء بلاد المغرب الى تولي منصب مشيخة الازهر.

كما لا ننسى تأثير الرحلة العلمية نحو المشرق الإسلامي حيث ساهمت في تجسيد مفهوم التواصل والتلاقح العلمي والفكري بين المنطقتين فكان لها الأثر البالغ في حدوث حركة علمية نشطة، كان من مظاهرها كثرة العلماء في كل فرع من فروع العلم والثقافة الإسلامية[2].

ومن أهم أعلام المغرب الأوسط الذين أجاز لهم علماء الحجاز نذكر: محمد بن عنقة شمس الدين أبو جعفر البسكري (804ه/ 1402م)، أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (854ه/ 1441م) الذي رحل للحج وحضر املاء شهاب الدين أبو الفضل احمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني واجاز له

أما فيما يخص الاجازات التي اخذها طلبة الحجاز من المغرب الأوسط نجد: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ ابي الحسن علي بن فرحون المدني (ت799ه/ 1396م).[3] هذا يدل على أن بلاد المشرق على غرار كونها وجهة للحج فقد كانت وجهة لطلب العلم واخذ الاجازات من أهلها.

---

[1] . نفسه، ص82.

[2] . حلام يوسف، أثر الرحلات العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7-9ه/ 13-15م، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج:07، ع02، 2023، ص32.

[3] . نفسه، ص. ص33-35.

وعلى الجانب الآخر فقد قامت تلمسان بمدارسها المختلفة بدور المنارة في إثراء الحركة الثقافية في المغرب الأوسط خاصة والمغرب الاسلامي ككل فوصل إشعاعها إلى جنوب الصحراء وجميع البلاد العربية المجاورة مضاهية بذلك القيروان وفاس وباقي عواصم المغرب الإسلامي[1].

كما لا ننسى دور الموانئ في تنشيط الرحلات المختلفة نحو بلاد المشرق خاصة وباقي بقاع العالم نذكر منها:

- الرحلة المغربية للعبدري(720ه)، التي احتلت مكانة هامة في المغرب الأوسط التي شرح فيها العبدري اواف سكان بلاد المغرب الأوسط، وقد انطلقت رحلته في 25 ذي القعدة عام 688ه/ 1289م وكان الانطلاق من ميناء حاحة المغربية، والتي سماها ب «ما سمى اليه الناظر المطرق الى بلاد المشرق"، والتي استمرت أكثر من سنتين ويبدو أن العبدري زار تونس مرتين في طرق ذهابه الى الحج وعند رجوعه وبالتالي فقد استمرت رحلته ثلاث سنوات. أما بخصوص المناطق التي اجتازها فقد بدأها بالمفازة التي في طريق تلمسان ثم وصل تلمسان ثم مليانة وواصل السير نحو مدينة الجزائر لينتقل بعدها الى مدينة بجاية، ثم من بجاية اتجه الى بني ورار ثم ميلة. واصفا في طريقه مدينة قسنطينة حتى وصل الى مدينة بونة[2].

في حين انه عند طريق عودته أخذ طريقا مغايرا مارا بذلك على باجة ثم خولان ثم نحو مدينة بجاية وأخذ طريق القلاع ثم سافر من بجاية فمر على قرية ملالة وهي بالقرب منها، ومنها الى مليانة ومن ثم جهة مازونة وصولا الى مدينة وهران ذات المرسى التابع لتلمسان[3]، نلاحظ من هنا ذكر العبدري للطريق المغاير الذي عاد منه خاصة مازونة ووهران.

- رحلات ابن بطوطة (770ه/ 1368م)، التي دامت قرابة ثلاثين عاما حيث انطلق من بلدته طنجة عام 725ه/ 1324م وعاد عام 756ه/ 1355م الى وطنه المغرب، وقد تم تدوين نص الرحلة في نفس العام بار من السلطان المغرب أبو عنان من قبل الكاتب الاندلسي بن جزي الكلبي الغرناطي.

[1] . عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج5، ص162.

[2] . علي عشي، المرجع السابق، ص368.

[3] . نفسه، ص355-358.

ومن مدن المغرب الأوسط التي مر بها مدينة تلمسان التي زارها وسلطانها أنذاك أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان والتي اقام بها ثلاثة أيام ثم خرج منها الى مدينة مليانة ليلحق بركب الحجاج، ومنها اتجه مع مجموعة من تجار تونس فوصل مدينة الجزائر وأقم خارجها أياما ثم توجه الى متيجة ومنها الى جبل الزان، وصولا الى مدينة بجاية[1].

- رحلة القلصادي (891ه/ 1486م) نحو المشرق مرورا بوهران الى تلمسان ومنها الى تونس وجربة وطرابلس والإسكندرية وكان ذلك سنة 840ه/ 1436م[2].

ويتبين لنا من هذه الرحلات المسالك والطرق البرية التي أخذها الرحالة في طريق تنقلهم نحو مناطق العالم المختلفة انطلاقا من موانئ المغرب الأوسط على رأسها تلمسان، وهران.

مما يلاحظ كذلك أنه طوال تاريخ حكم بني زيان الذي امتد لأكثر من ثلاثة قرون تواصل دورها الحضاري والثقافي سواء احتضانها لعلماء الاندلس والمشرق أو علماء جنوب الصحراء وهذا بفضل موقعها الساحلي وموانئها المتعددة التي تعدى دورها الجانب الاقتصادي إلى حلقة وصل ومنطقة عبور كان لها بالغ الأثر في الازدهار الحضاري الثقافي.

2- الاجتماعية:

لطالما شكلت موانئ الدولة الزيانية وظيفة للعديد من سكان المدينة ويظهر التأثير الاجتماعي بين العدوة المغربية والأندلس جليا في العديد من الأمثلة.

فقد كانت حرفة الصيد البحري منتشرة على طول الشريط الساحلي للمغرب الأوسط ويخبرنا ابن حوقل أن قرية مرسى الخرز بها من الصيادين مالم يوجد في بلد غيره سواء لصيد السمك او استخراج المرجان[3]. ويضيف الحميري في ذكره لجيجل وبونة بقوله:" وبجيجل الالبان

[1] . نفسه، ص. ص368-369.

[2] . القلصادي، مصدر سابق، ص95.

[3] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص79.

والسمن والحوت المتناهي الطيب"[1]، وعن بونة:" وعلى فحوصها وقراها وهبي من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا"[2].

كما نجد أيضا أن الواجهة البحرية شكلت مصدرا لنشاط السكان المحليين والمرتبطة أساسا بعملية الصيد الموجهة نحو الحياة المعيشية لا الاستهلاك. فتذكر المصادر أن الصيد البحري كان يوفر تغذية وافرة ورخيصة للسكان لاسيما منهم أهل بترت وتونس، ولا شك أن الامر كان كذلك في بجاية وبونة وجيجل وغيرها من المدن الساحلية[3].

بالإضافة الى أهمية جود السواحل وموانئها وأثرها على سكان المنطقة كما لاحظنا، فيظهر أيضا التأثير جليا في تغير عادات وتقاليد المغرب الأوسط عن طريق تمازج الثقافة المغربية مع الثقافات الأخرى في المأكل والملبس والمتاع فمن بين الأطعمة التي ثبت دخولها المغرب الأوسط نذكر: الملوزة، البسكوشو، البسطيلة[4].

كما وجدت العديد من الألبسة يرجح انها اندلسية الأصل مثل: البنيقة وهي عبارة عن منديل تضعه النساء على رؤوسهن اثناء الخروج من الحمام، القمصان المطرزة بالحرير والألوان والتي تحمل اسم القمجة ذات الأصل والتسمية الغرناطية[5].

إضافة إلى ذلك نجد التسامح الديني قد سمح بتمازج الثقافتين وحدوث تلاقح بين المجتمعين والذي كان أثره واضحا خاصة فيما تعلق باللغة كونها عامل رئيسي في المبادلات التجارية.

3- الغزو الاسباني للموانئ وتراجع دورها.

تعرضت الدولة الزيانية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي الى تردي أوضاعها الاقتصادية بفعل غزو الاسبان لسواحلها والتعرض لموانئها الرئيسية، التي كانت مصدر

[1] . الحميري، المصدر السابق، ص184.

[2] . علي عشي، المرجع السابق، ص282.

[3] . علي عشي، المرجع السابق، ص289.

[4] .سليمان غربي، حمزة سمينة، المرجع السابق، ص85.

[5] . فؤاد طوهارة، الهجرة الاندلسية الى المغرب الأوسط، السياق التاريخي والمجال الجغرافي، مجلة حوليات التراث، جامعة قالمة، الجزائر، ع15، 2015م، ص173.

ثرائها، وكان للضعف السياسي للدولة والصراعات الداخلة الأثر البالغ في تغلغل نفوذ الاسبان داخل الدولة والسيطرة على اجزائه الساحلية بفرض الضرائب واخذ الامتيازات الاقتصادية.

بدأت حملات الاستيلاء انطلاقا من احتلال المرسى الكبير في عهد الملك مولاي عبد الله بن زيان بن مولاي بن احمد والذي ادرك آنذاك خطورة الوضع ادي هذا الامر الى انقطاع التجار البنادقة عن التوجه الى هذه المدينة، التي أصبحت مسرحا للجنود الاسبان فعرض التلمسانيون عليهم المجيئ الى ميناء هنين[1] وكانت هذه الأخيرة المتنفس الاقتصادي للدولة الزيانية مع الموانئ الأوروبية، وبعد تعرضها هي الأخرى للاحتلال الاسباني أفل معها نشاطها التجاري وتمكنوا من احتلال ميناء المدينة وقصبتها في 24اوت 1531م، كما تعرضت المدينة للنهب[2]. ونتيجة أعمال الاسبان بالمدينة فر سكانها نحو المناطق الداخلية[3].

وعند ظهور الاسبان على المسرح في نطاق حملاتهم على السواحل الجزائرية كانت مدينة تنس أولى المدن التي أعلنت ولائها للإسبان، فبعد احتلالهم للمرسى الكبير واستعدادهم لاحتلال مدينة وهران، وقعت ازمة داخل البيت الزياني وذلك إثر وفاة الملك محمد السابع سنة 153م، فآل الحكم إلى ابنه عبد الله وكان له شقيقان تآمرا على قتله لكن بانكشاف المؤامرة تم سجن الأخوين أبو زيان ويحي، حيث تمكن يحي من الفران بمساعدة الاسبان الذين نصبوه حاكما على تنس مقابل دفع الضرائب لهم[4].

أما مدينة مستغانم وبحكم قربها من مدينة وهران فهي الأخرى قد تعرضت لتهديدات الاسبان الامر الذي اجبر شيوخها الى توقيع معاهدة استسلام مع الحاكم الاسباني لوهران وذلك في 1511م، وكان من بين شروطها: دفع الضرائب، تموين مدينتي وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية، لا يسمح بشحن او تفريغ سفينة بمرسى مستغانم الا بإذن الاسبان[5].

---

[1] . حمزة بختي، الأهمية الاقتصادية للمرافئ بالمغرب الاوسط في العهد الزياني (633ه-962م / 1235م-1555م)، مذكرة ماستر، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2013/ 2014م، ص76.

[2] . مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص. ص286-287.

[3] . لطيفة بشاري، العلاقات التجارية، مرجع سابق، ص102.

[4] . مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص. ص286-287.

[5] . حمزة بختي، المرجع السابق، ص76.

ظلت الدولة الزيانية تتصدر دول حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك بفعل سواحلها التي شغلت العديد من الموانئ والتي مكنتها بدورها من إقامات علاقات مختلف الميادين، لكن من الملاحظ إن دور هذه الموانئ قد تراجع وذلك بسبب ضعف الدولة وانقساماتها والصراعات التي شهدتها مع جيرانها الحفصيين والمرينين وهذا ما جعلها تتجرد من موانئها وتصبح عرضة للاحتلال الاسباني الذي فتح بابا آخر أمام تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

خاتمة

خاتمة:

يتضح من خلال دراستنا للموانئ الزيانية تطور الوظائف الاقتصادية والحضارية مجموعة من الاستنتاجات.

- ✓ الموقع الجغرافي الذي تربعت عليه الدولة الزيانية وامتلاكها للعديد من الموارد الزراعية والصناعية التي جعلت منها دولة تتميز بإنتاجها الزراعي والصناعي على غرار التجارة.
- ✓ طول الشريط الساحلي للمغرب الأوسط وكثرة تعرجاته وخلجانه جعل منه مركز العديد من المحطات التجارية تمثلت في الموانئ على رأسها ميناء هنين، بجاية، المرسى الكبير... لتسهيل عملية التبادل التجاري ومنطلق للمراكب ورسوها محملة بمختلف البضائع والسلع.
- ✓ صنفت موانئ المغرب الأوسط الى موانئ شتوية وأخرى صيفية، كما تعددت أساليب الإبحار في خوض المتوسط واختلفت بين الربابنة ولا ننسى الاخطار التي تعرض لها التجار في رحلاتهم التجارية سواء الرياح كخطر طبيعي او القراصنة واعمال النهب في البحار.
- ✓ سعت الدولة الزيانية الى توفير كل متطلبات العمل التجاري وراحة التجار فعملت على إقامة الأسواق والفنادق والشركات.
- ✓ مثلت الموانئ همزة وصل بين شمال وجنوب البحر الابيض المتوسط بحكم موقعها المتميز والمنطلق في نفس الوقت لطرق التجارة والبضائع القادمة من أوربا والبلاد المسيحية ومنطلقا للبضائع الصحراوية خاصة الذهب والعبيد.
- ✓ شهدت الدولة الزيانية مبادلات تجارية متنوعة تصديرا واستيرادا ما بين محاصيل زراعية من حبوب وتمر وزيتون وثروة حيوانية مقابل جلب البضائع ذات لأهمية كالذب والعبيد من السودان وبعض التوابل والعطور وغيرها من المشرق، إضافة الى الأسلحة والسفن من أوروبا.

- ✓ توفر العديد من الطرق التجارية الداخلية والخارجية في مختلف الاتجاهات مسالك بحرية منطلقة من الموانئ الزيانية باتجاه باقي السواحل المغاربية خاصة مع الاندلس ومع اوروبا المسيحية، او طرق بحرية ربطتها بباقي المناطق المجاورة خاصة بلاد السودان.

- ✓ كان للموانئ دور سياسي للدولة الزيانية من خلال ربط العلاقات الديبلوماسية وتبادل الهدايا والسفراء بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

- ✓ التأثير الثقافي والاجتماعي من خلال التداخل بين عناصر الوافدة وشعوب المنطقة وبروز هذه التأثيرات في الأدوار التي حظي بها العلماء والاسر الوافدين والمأكل والملبس والعادات والتقاليد.

- ✓ تراجع دور الموانئ بفعل الاحتلال الاسباني لسواحل المغرب الأوسط مع بداية القرن السادس عشر كاحتلال المرسى الكبير، وهران وبجاية....

- ✓ ومن ثمة فإن دراسة وظائف الموانئ موضوع شيق يحتاج المزيد من البحث خاصة في ميدان العلاقات الاقتصادية خاصة وأن قوة الدولة وثرائها تنبع من اقتصادها.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة الدولة الزيانية[1].

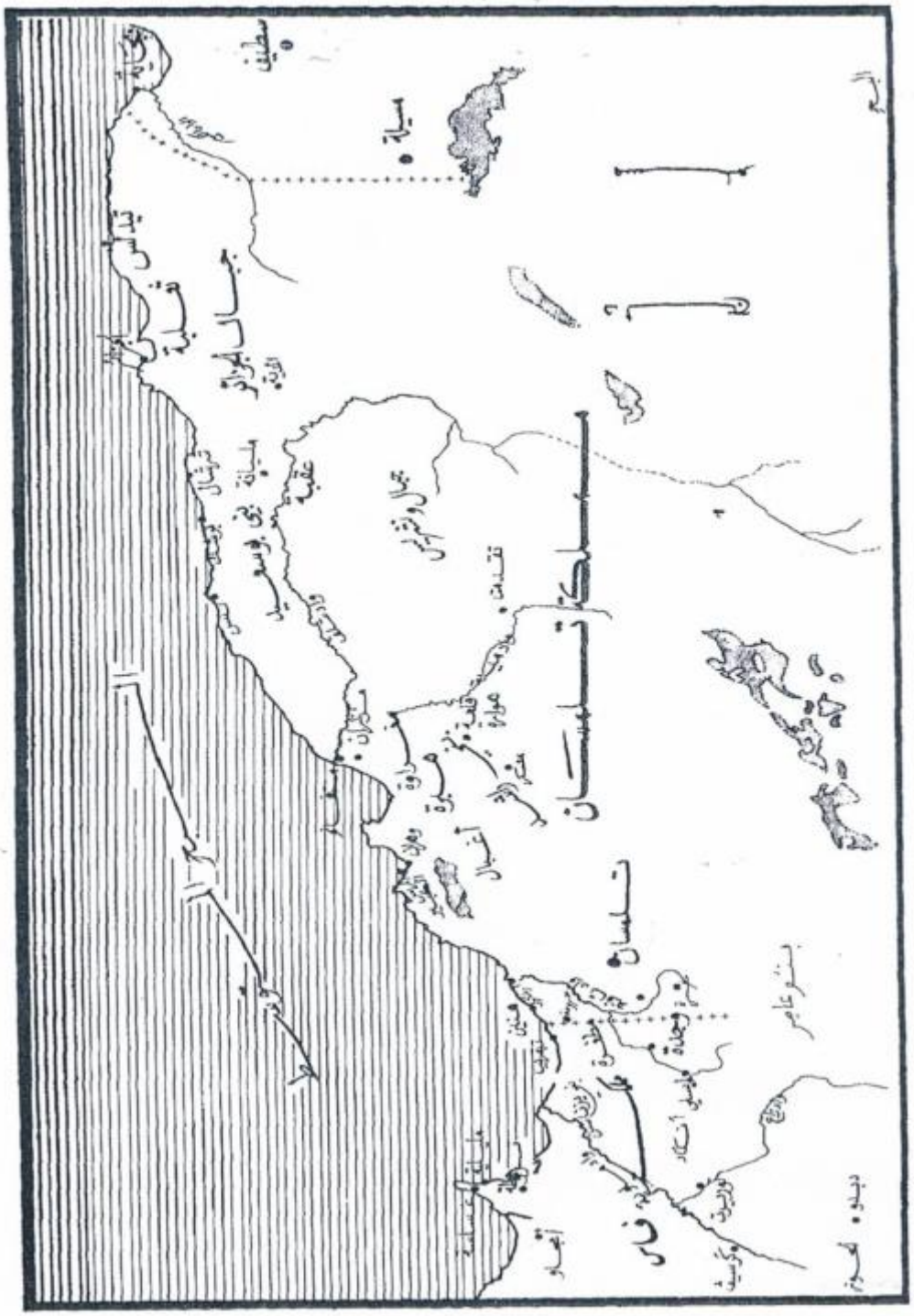

[1] . حسن الوزان، المصدر السابق، ص 06.

الملحق رقم 02: اهم موانئ المغرب الأوسط[1].

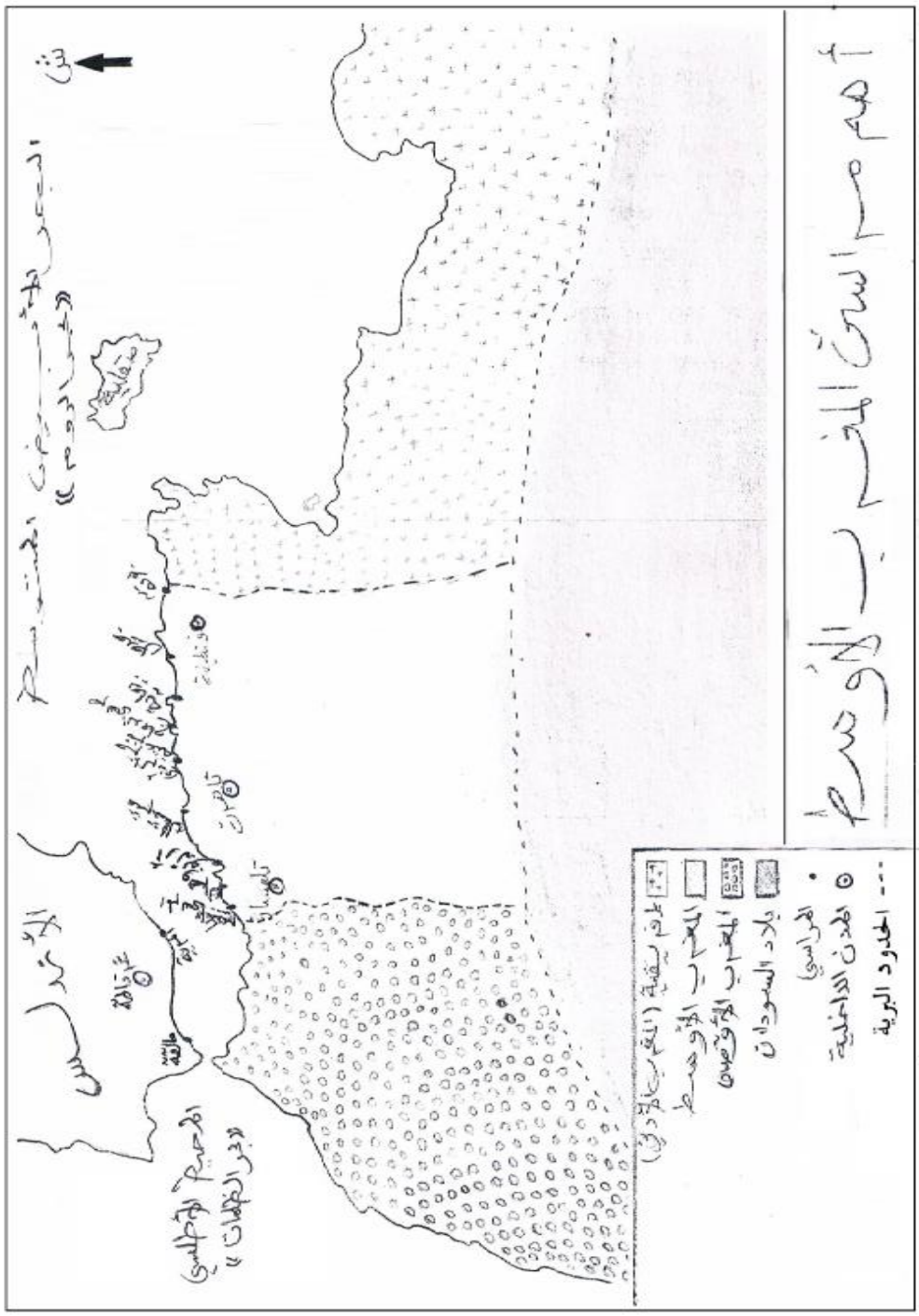

[1] . عودة بناي، صبيحة تورديات، المدن الساحلية ومراسيها بالمغرب الأوسط دراسة طوبوغرافية للمدن الساحلية بالمغرب الأوسط ودورها الاقتصادي والعسكري بين القرنين 7/4ه، 14/11م، مذكرة ماستر، جامعة اكلي محند اولحاج، البويرة، الجزائر ،2015/2014م، ص78.

الملحق رقم 03: جدول موانئ المغرب الأوسط من خلال نظرة الرحالة والجغرافيين بين (9-7هـ/12-13م)[1].

الرقم	اسم المرسى أو الميناء	ابن عربي	الحموي	القزويني	ابن سعيد
01	مرسى الخرز		×	×	×
02	بونة	×	×		×
03	سكيكدة		×		
04	مرسى القل				×
05	مرسى الزيتونة		×		
06	جيجل		×		
07	بجاية	×	×	×	×
08	تدلس				×
09	مرسى بني جناد		×		
10	مرسى الدجاج		×		
11	تامدفوس		×		
12	جزائر بني مزغنة		×		×
13	مرسى الداموس		×		
14	شرشال			×	
15	تنس		×	×	×
16	مغيلة بني هاشم		×		
17	مستغانم				×
18	مرسى الفلوس		×		
19	وهران		×		×
20	المرسى الكبير				×
21	أرشقول		×		×
22	هنين		×		×
	المجموع	**02**	**17**	**04**	**12**

[1] . علي عشي، المرجع السابق، ص278.

الملحق رقم 04: خريطة توضح الطرق التجارية البرية والبحرية[1].

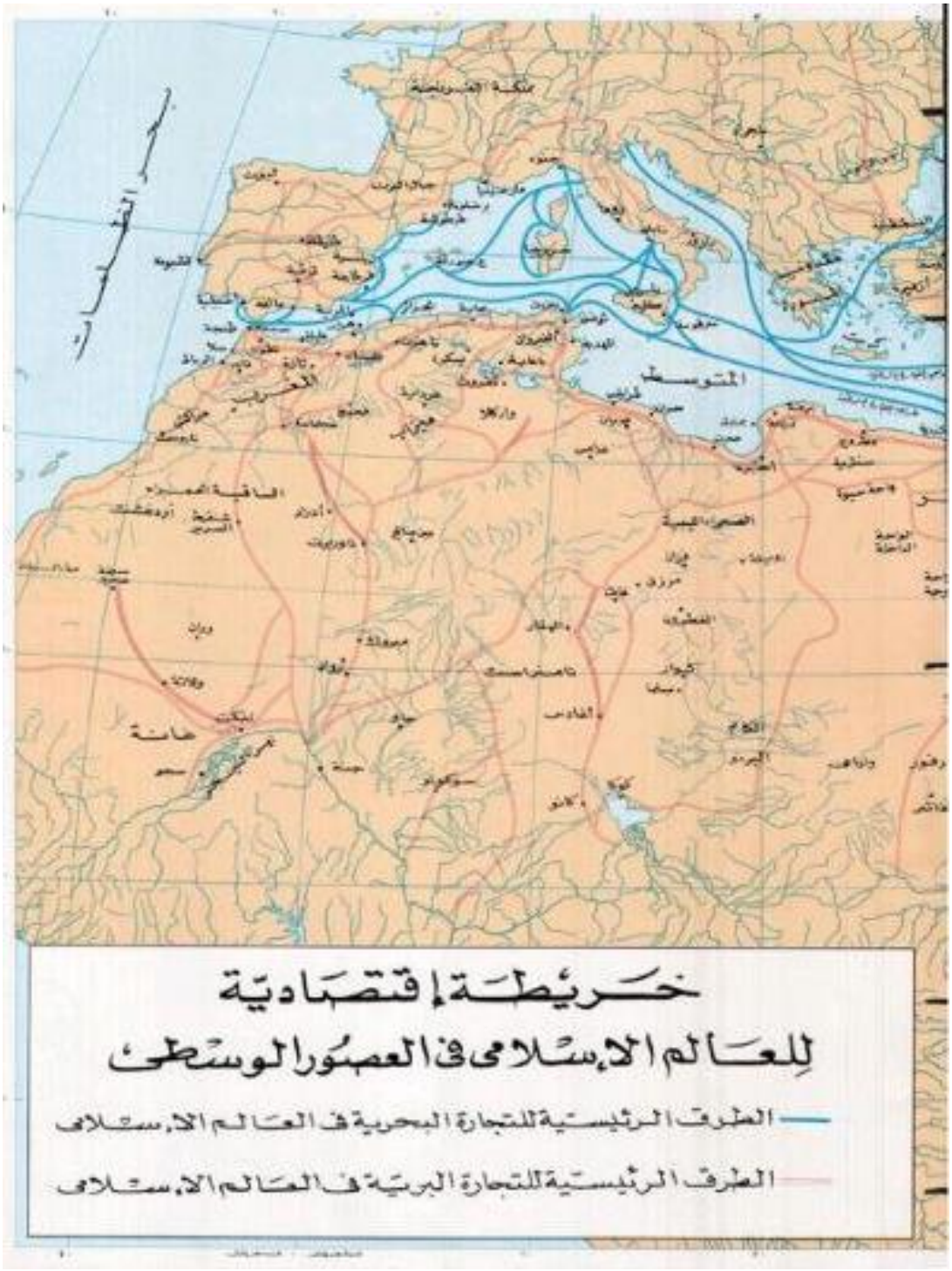

[1] . حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام، ط1، الزهراءللاعلام العربي، القاهرة، 1987، ص384.

الملحق رقم 05: خريطة المناطق والطرق التجارية بين تلمسان والإمارة القطلانية[1].

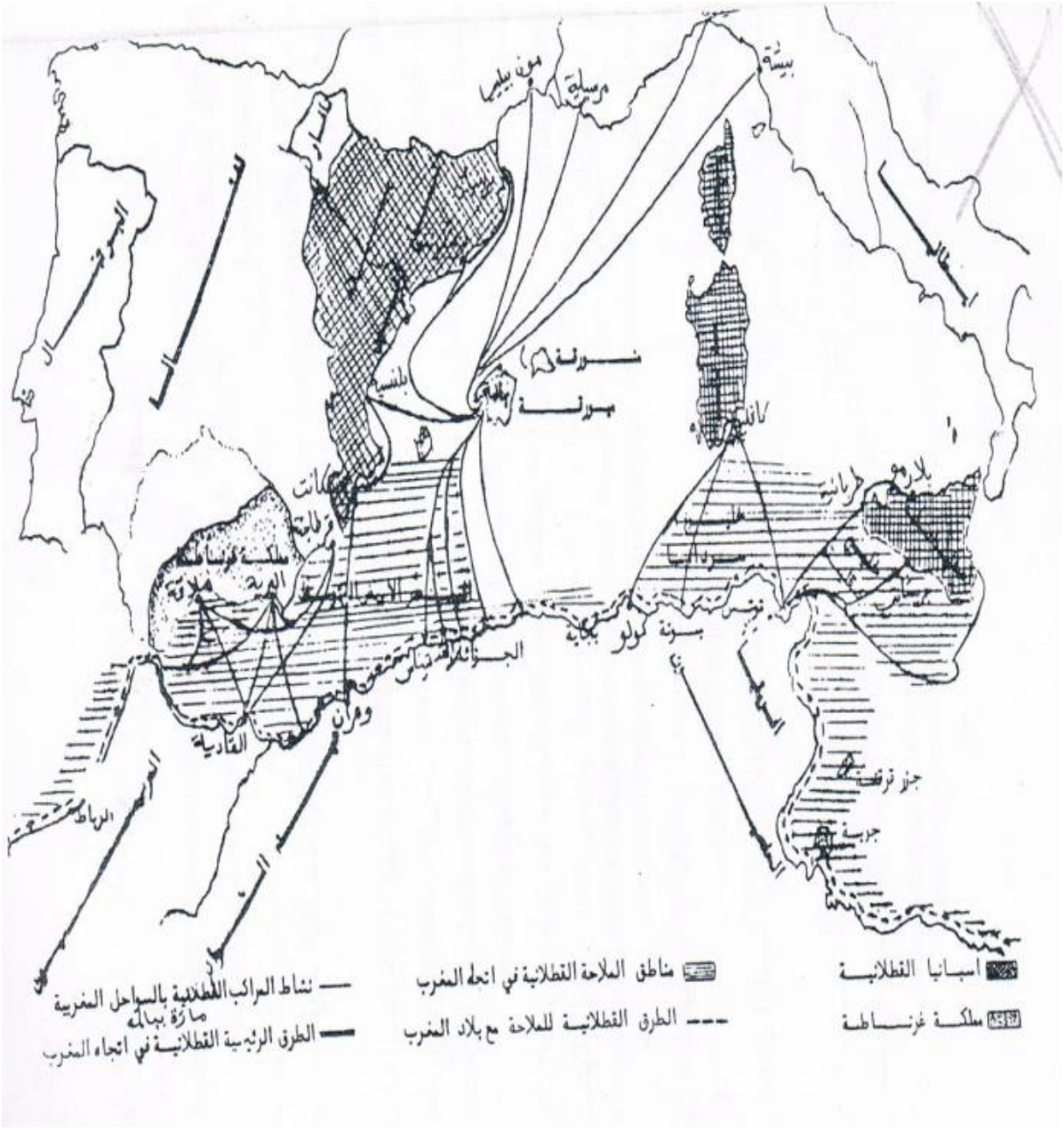

[1] . عمر سعيدان، المرجع السابق، ص189.

الملحق رقم 06: رسالة توضح معاهدة تجارية بين الزيانيين والأوروبيين[1].

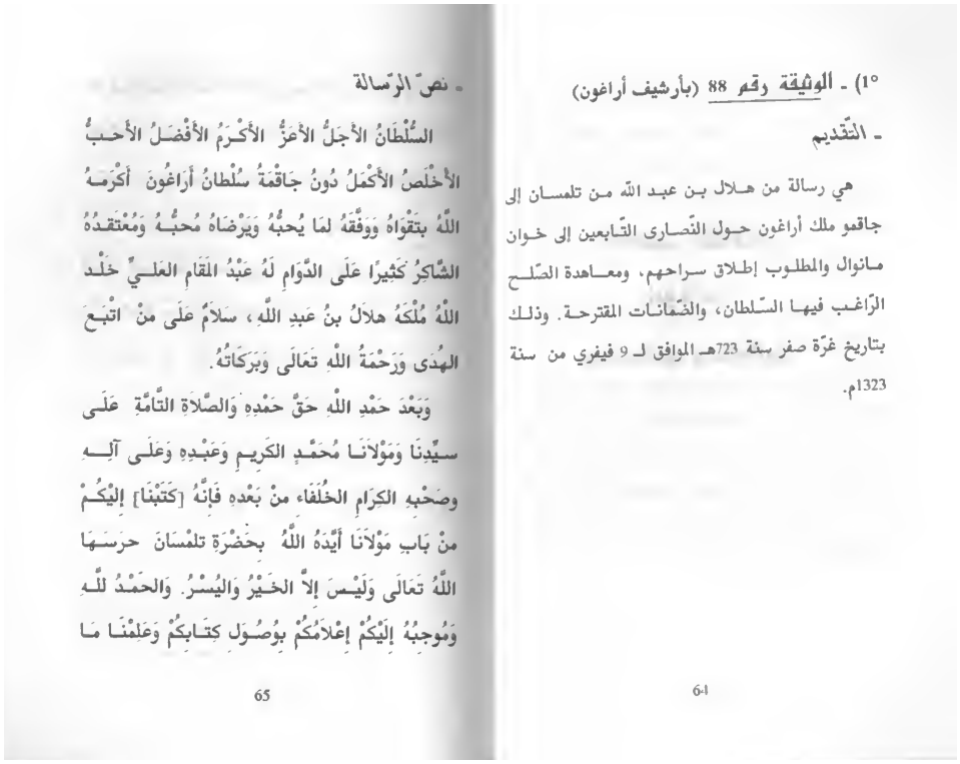

1°) - الوثيقة رقم 88 (بأرشيف أراغون)

- التّقديم

هي رسالة من هلال بن عبد الله من تلمسان إلى جاقمو ملك أراغون حول النّصارى التّابعين إلى خوان مانوال والمطلوب إطلاق سراحهم، ومعاهدة الصّلح الرّاغب فيها السّلطان، والضّمانات المقترحة. وذلك بتاريخ غرّة صفر سنة 723هـ الموافق لـ 9 فيفري من سنة 1323م.

61

- نصّ الرّسالة

السُّلْطَانُ الأَجَلُّ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ الأَفْضَلُ الأَحَبُّ الأَخْلَصُ الأَكْمَلُ دُونُ جَاقْمَةُ سُلْطانُ أَرَاغُونَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَوَفَّقَهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مُحِبُّهُ وَمُعْتَقِدُهُ الشَّاكِرُ كَثِيرًا عَلَى الدَّوَامِ لَهُ عَبْدُ المَقَامِ العَلِيِّ خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ هِلَالُ بنُ عَبدِ اللَّهِ، سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ وَالصَّلاةِ التَّامَّةِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ الكَرِيمِ وَعَبْدِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الكِرَامِ الخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُ [كَتَبْنَا] إِلَيْكُمْ مِنْ بَابِ مَوْلاَنَا أَيَّدَهُ اللَّهُ بِحَضْرَةِ تلمْسَانَ حرسَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَيْسَ إِلاَّ الخَيْرُ وَاليُسْرُ. وَالحَمْدُ للَّهِ وَمُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ إِعْلاَمُكُمْ بِوُصُولِ كِتَابِكُمْ وَعَلِمْنَا مَا

65

ذَكَرْتُمْ فِيهِ وَأَنْتُمْ تَطْلُبُونَ مِنَّا أَرْبَعَةَ وعِشْرِين نَصْرَانِيًّا[1] مَتَاعَ جوَانَ منْوَالَ وَنَحْنُ نُعَرِّفُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ صُلْحَ مَوْلاَنَا أَيَّدَهُ اللَّهُ فَنَحْنُ نُعْطِيكُمْ[2] الأَرْبَعَةَ وعِشْرِينَ نَصْرَانِيًّا الَّذِينَ طَلَبْتُمْ مَتَاعَ جُوَانَ مِنْوَالَ وَنُعْطِيكُمْ أَيْضًا زِيَادَةَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثِينَ نَصْرَانِيًّا مِنْ بِلاَدِكُمْ مِنَ الَّذِي نُعْطِيكُمْ نَحْنُ بِاخْتِيَارِنَا دُونَ أَنْ تُعَيِّنُوا لَنَا أَنْتُمْ أَحَدًا فَإِنْ أَنْتُمْ وَافَقْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ فَنَعْمَلُهُ[3] لَكُمْ وَيَقَعُ الصُّلْحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَإِذَا أَرَدْتُمْ سَلَفَ ذَهَبٍ فَنُسْلِفُ[4] لَكُمْ مَا يَتَيَسَّرُ لَنَا بَعْدَ أَنْ تُعْطُونَا الضَّمَانَ وَالرِّهَانَ فِي

(1) في النّصّ الأصليّ: نصراني (كذا). وفي ما يلحق أيضا.
(2) في النّصّ الأصليّ: نعطوكم (كذا). وفي ما يلحق أيضا.
(3) في النّصّ الأصليّ: فنعملوه (كذا).
(4) في النّصّ الأصليّ: فنسلفوا (كذا).

66

الذَّهَبِ وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَعْمَلُوا مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ وَلَمْ توافقُوا عَلَيْهِ فَمَا بَيْنَنَا كَلاَمٌ.

واللَّهُ سُبْحَانَهُ المُوَفِّقُ للصَّوَابِ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وكُتِبَ فِي 1 صفر عَامَ 723هـ.

67

[1] . عمر سعيدان، المرجع السابق، ص66، 67.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

– كتب الجغرافيا:

1- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، (ت367ه/ 977م)، صورة الأرض، (د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992.

2- ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت685ه/ 1285م)، الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

3- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن محمد بن عمر (ت732ه)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1830م.

4- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت560ه/ 1166م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، (د ط)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، (د ت)، ج2.

5- ـــــــــــــ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: بورسعيد، (د ط)، مكتبة النفائس، (د ت)، ج1.

6- الأصطخري أبو القاسم محمد بن إبراهيم (ت340ه/ 951م)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، (د ت).

7- البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت457ه/ 1094م)، المسالك والممالك، تح وتق: أدريان فان ليوفن، الدار العربية للكتاب، 1992م.

8- الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626ه/ 1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج: 5.

9- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت727ه/ 1327م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

10- الزهري أبو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت541ه/ 1154م)، كتاب الجغرافيا، تح: محمد حاج صادق، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينية، (د ت).

11- العمري شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت 749ه/ 1348م)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج2.

12- مجهول المؤلف (كان حيا سنة 587ه/ 1191م)، الاستبصار في عجائب الامصار، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، مشروك للنشر المشترك، (د ت).

13- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البنا الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت 379ه/ 989م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

14- المقريزي تقي الدين احمد بن علي (ت 845ه/ 1441م)، جنى الازهار من الروض المعطار، تح: محمد زينهم، ط1، الدار الثقافية، مصر، 2006م.

15- الوزان الحسن بن محمد الفاسي (ت 951ه/ 1550م)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ج2.

- كتب الرحلة:

16- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت770ه/ 1368م)، تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تح: عبد الهادي التازي، مطبوعة الاكاديمية المغربية، 1997م، ج4.

17- ابن جبير أبو الحسن محمد بن احمد (540ه/ 1145م)، رحلة ابن جبير، سلسلة الانيس للطباعة والنشر، ط1، (د.م.ن)، 2010م.

18- ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد يحيى بن محمد الحضرمي (ت808ه/ 1504م، رحلة ابن خلدون، در: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

19- العبدري، أبو عبد الله البلنسي (ت 720ه/ 1320م)، الرحلة المغربية، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 2007م.

20- القلصادي، أبو الحسن علة (ت 891ه/ 1486م)، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

21- كربخال مارمول، افريقيا، تر: محمد حجي، محمد زيبر، محمد الأخضر، احمد التوفيق، (د. ط)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984م، ج2.

– كتب التاريخ العام:

22- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الانصاري (ت810ه/ 1407م)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة، مصر، 2010م.

23- ابن الصباح الحاج عبد الله، أنساب الاخبار وتذكرة الاخيار، تح: محمد بن شريفية، دار أبي الرقراق للنشر، 2009م.

24- ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد يحيى بن محمد الحضرمي (ت808ه/ 1504م)، المقدمة، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

25- ابن خلدون يحيى أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي (ت 780ه/ 1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: محمد حاجيات، ج1، ط خ، الجزائر، 2011م

26- ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م، ج6، ج7.

27- التنسي محمد بن عبد الله أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التلمساني (ت 899ه/ 1494م)، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان، تح: آغا بوعباد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

28- الغبريني أبو العباس احمد بن احمد ابن عبد الله العباس (ت 704ه/ 1305م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

29- القلقشندي ابي العباس احمد بن علي (821ه)، صبح الاعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م.

المقري التلمساني أبو العباس احمد بن محمد (1041ه/ 1632م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، مج:5.

– القواميس المصدرية:

30- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الافريقي التونسي (ت 701ه/ 1311م)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1929م.

قائمة المراجع:

– المراجع العربية:

52- لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي: نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د ت).

31- باشا نجاة، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن 4 الى 8م، (د–ط)، تونس، 1876م.

32- برونشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13الى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، (د–ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1.

33- بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد امارة بني عبد الواد من القرن 7–10ه/ 13–16م، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م.

34- بورويبة رشيد، لقبال موسى، حاجيات عبد الحميد، دهينة عطاء الله، بلقراد محمد، الجزائر عبر التاريخ الإسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني، (د-ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

35- بوعزيز يحيى، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، (د ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.

36- بوعياد محمود، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط في القرن 9ه-15م، (د-ط)، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، (د ت).

37- الجعماطي عبد السلام دراسات في تاريخ النقل والمواصلات بالاندلس خلال عصري الخلافة والطوائف (316ه-483م)، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2010م.

38- ــــــــــــــ، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.

39- الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ج2.

40- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاقتصادية والاجتماعية)، ط9، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ج2.

41- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1986م.

42- سعيداني عمر، علاقة اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن14م، ط1، منشورات سعيدان، الجمهورية التونسية، نوفمبر، 2002و.

43- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011م.

44- الطويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الى القرن الخامس الهجري، ط1، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011م.

45- عبد العاطي محمد الورقلي، أوراق أندلسية، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1990.

46- عبد المنصف محمود احمد، اقتصاديات النقل البحري، ط1، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الإسكندرية، 2001م.

47- العبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم للتوزيع، ط1، 2011م.

48- العلوي هاشم، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرباع هجري ونصف القرن العاشر ميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، 1995م.

49- عمر بلوط، فنادق مدينة تلمسان الزيانية، ط1، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص. 98-103.

50- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ الى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

51- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، فوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1.

52- محمود أحمد عبد المنصف، اقتصاديات النقل البحري، ط1، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الإسكندرية، 2001م.

53- مقلد الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1994م، ج5.

54- مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.

55- الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تص: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ج1.

– المراجع الأجنبية:

56- Denise paulume, les civilisations, 6eme Edition presse universitaire de France paris 1974- p 102

– الرسائل الجامعية:

57-بختي حمزة، الأهمية الاقتصادية للمرافئ بالمغرب الوسط في العهد الزياني (633ه-962م / 1235م-1555م)، مذكرة ماستر، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2013/ 2014م.

58- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422ه/ 2002م.

59- بلعربي خيرة، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي، 5-10ه/ 11-16م، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2009-2010م.

60-بناي عودة، توديات صبيحة، المدن الساحلية ومراسيها بالمغرب الأوسط: دراسة طوبوغرافية للمدن الساحلية بالمغرب الأوسط ودورها الاقتصادي والعسكري بين القرنين الرابع والسابع هجري / الحادي عشر والرابع عشر ميلادي، مذكرة ماستر، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2014-2015م .

61- بورملة خديجة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن6 – 7ه/ 12-15م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2017-2018م.

62- جبريط موسى، التجارة في المغرب الأوسط الرستميون والزيانيون نموذجا –دراسة مقارنة، مذكرة ماستر، جامعة غرداية، الجزائر، 2013-214م.

63- خلوط أسماء الموانئ ودورها في العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والاندلس من القرن (3الى 6 ه / 9 الى 12 م)، أطروحة دكتوراه، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1442-1443ه /2020-2021م،

64- ذباح نجية، بومسيلي فاطمة، الموانئ الزيانية ودورها الاقتصادي، مذكرة ماستر، جامعة يحيى فارس، المدية، الجزائر، 2015-2016م.

65- العربي اسماعيل، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، العدد 19، 1974م.

66- عشي علي، التوجه البحري لمغرب الوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10ه/ 8-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016-2017م.

67- غربي سلمان، سمينة حمزة، موانئ المغرب الأوسط في كتابات الرحالة-دراسة في النشأة والاهمية، مذكرة ماستر، جامعة الشهيد لخضر حمه، الوادي، الجزائر، 2021م.

68- مشرق لخضر، الأهمية الاستراتيجية للمغرب الأوسط في العهد الزياني، مذكرة ماستر، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، 2015م.

69- ميلودي زهرة، دور المراسي في نشاط التجارة الساحلية وأثره على التجارة المتوسطية بالمغرب الأوسط من القرن 4ه/ 10م الى 6ه/ 12م، مجلة القرطاس، العدد الخامس، جوان2017م.

- المجلات والدوريات:

71-يوسف احلام، أثر الرحلات العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7-9ه/ 13-15م، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج:07، ع02، 2023

72- بشاري لطيفة، منشآت التجارة الخارجية بالمغرب، مجلة الدراسات في آثار الوطن العربي، العدد10.

73- طوهارة فؤاد، الهجرة الاندلسية الى المغرب الأوسط، السياق التاريخي والمجال الجغرافي، مجلة حوليات التراث، جامعة قالمة-الجزائر، العدد15، 2015م.

74- عطاء الله دهينة، مساعدة الزيانيين لمسلمي الاندلس، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، العدد13، الجزائر.

75- فرغل محمد إبراهيم، قيساريات وأسواق مدينة تلمسان في العهد الزياني (633-962ه/ 1235-1554م)، مجلة كلية اللغة العربية، بلباي البارود، العدد33.

76- يخلف الحاج عبد القادر، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة الجديدة، العدد2، خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432ه/ 2011م.

– الملتقيات الوطنية:

77- دنون طه عبد الواحد، التبادل التجاري بين الموانئ الجزائرية والاندلس في القرنيين 5/ 6ه، ضمن اعمال الملتقى الدولي للموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط الى نهاية العهد العثماني، الجزائر (د.ت).

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
البسملة	/
الإهداء	/
الشكر والتقدير	/
قائمة المختصرات	/
مقدمة	أ–و
الفصل التمهيدي: المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية: الامتداد الجغرافي والمميزات الاقتصادية.	**22–4**
المبحث الأول: حدود المغرب الأوسط وجغرافيته.	**4**
جغرافية بلاد المغرب الأوسط.	**4**
مميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط.	**6**
المبحث الثاني: الدولة الزيانية: النشأة والامتداد.	**9**
نشأة الدولة الزيانية.	**9**
حدودها السياسية.	**16**
المبحث الثالث: المقومات الاقتصادية للدولة الزيانية.	**17**
الزراعة والإنتاج الحيواني.	**17**
الصناعة.	**20**
التجارة.	**21**
الفصل الأول: موانئ المغرب الأوسط على العهد الزياني.	**52–24**
المبحث الأول: تعريف الميناء وأصنافه.	**24**
تعريف الميناء.	**24**
أصناف الموانئ.	**25**
المبحث الثاني: أهم موانئ الدولة الزيانية.	**26**
موانئ الشرق	**26**
موانئ الوسط	**30**
موانئ الغرب	**34**

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على ازدهار الموانئ في العهد الزياني:	**39**
العوامل المتحكمة في تطور التبادلات التجارية:	**39**
المبحث الرابع: أساليب الملاحة وصعوباتها.	**49**
أساليب الملاحة.	**49**
الصعوبات التي تواجه التجار في رحلاتهم.	**50**
الفصل الثاني: الأهمية الاقتصادية والحضارية لموانئ المغرب الأوسط.	**75-53**
المبحث الأول: الأهمية الاقتصادية.	**54**
ربط المغرب الوسط بالعالم الخارجي.	**54**
تنشيط وتنويع المبادلات التجارية.	**62**
المبحث الثاني: إقامة علاقات دبلوماسية.	**70**
مع الاندلس.	**70**
مع المشرق الإسلامي.	**71**
مع شبه الجزيرة الإيطالية.	**73**
مع الممالك المسيحية.	**74**
المبحث الثالث: الأهمية الثقافية والاجتماعية.	**73**
الأهمية الثقافية.	**73**
الأهمية الاجتماعية.	**78**
الغزو الاسباني للموانئ وتراجع دورها	**79**
خاتمة	**82**
الملاحق	**85**
المصادر والمراجع	**92**
فهرس الموضوعات	**102**
الملخص	**104**
Abstract	**104**
Résumé	**104**

ملخص:

شهد المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية حركة تجارية متنوعة ومزدهرة نتجت عنها حركة حضارية كبيرة، ولعل الموقع الجغرافي للدولة وتوفرها على العديد من المقومات الزراعية والصناعية والتجارية أدى الى ازدهار اقتصادها، وقد سعت الدولة الى انشاء العديد من المحطات التجارية الهامة كمرسى وهران، هنين، المرسى الكبير وغيرهم لتسهيل التبادل التجاري ومنطلق للمراكب المختلفة، والتي شكلت محطات هامة في حوض المتوسط وهمزة وصل في التجارة بين الدول وشريان الاقتصاد الزياني، فبفضلها تنوعت صادرات وواردات الدولة وعلى رأسها الحبوب والذهب وقد ربطت علاقات اقتصادية مع مختلف المناطق خاصة الدول الأوروبية والمشرق الإسلامي، هذا فضلا عن تنوع وتعدد المسالك البحرية والطرق التجارية البرية التي عدت عامل رئيس في انبعاث التجارة الخارجية للدول، كما ارتبطت الدولة الزيانية مع الدول المجاورة بمعاهدات واتفاقات تجارية تدل على العلاقات الطيبة بينهم، إضافة الى التأثير الاجتماعي والثقافي الذي ظهر نتيجة تعدد العلاقات الاقتصادية والسياسية.

Abstract:

During the era of the Zayanid state, the Central Maghreb witnessed a diverse and prosperous commercial movement that resulted in a great civilizational movement. Perhaps the geographical location of the state and its availability of many agricultural, industrial and commercial components led to the prosperity of its economy. The state sought to establish many important commercial stations such as the ports of Oran, Henin, and Marsa. Al-Kabir and others to facilitate trade exchange and a launching pad for various boats, which constituted important stations in the Mediterranean Basin and a link in trade between countries and the artery of the Zaian economy. Thanks to it, the state's exports and imports diversified, especially grains and gold, and it linked economic relations with various regions, especially European countries and the Islamic Levant, in addition to this. About the diversity and multiplicity of maritime routes and land trade routes, which were considered a major factor in the revival of countries' foreign trade. The Zayan state was also linked with neighboring countries through trade treaties and agreements indicating good relations between them, in addition to the social and cultural influence that appeared as a result of the multiplicity of economic and political.

Résumé :

À l'époque de l'État zayanide, le Maghreb central a connu un mouvement commercial diversifié et prospère qui a abouti à un grand mouvement civilisationnel. Peut-être la situation géographique de l'État et la disponibilité de nombreuses composantes agricoles, industrielles et commerciales ont-elles conduit à sa prospérité. L'État cherchait à établir de nombreuses stations commerciales importantes telles que les ports d'Oran, Hénin et Al-Kabir et d'autres pour faciliter les échanges commerciaux et une rampe de lancement pour divers bateaux, qui constituaient des stations importantes dans le bassin méditerranéen et une plateforme de lancement. lien dans le commerce entre les pays et l'artère de l'économie zaïenne. Grâce à eux, les exportations et les importations de l'État se sont diversifiées, en particulier les céréales et l'or, et il a lié les relations économiques avec diverses régions, en particulier les pays européens et le Levant islamique, en plus de cela. Sur la diversité et la multiplicité des routes maritimes et terrestres, considérées comme un facteur majeur de la relance du commerce extérieur des pays, l'État de Zayan était également lié aux pays voisins par des traités commerciaux et des accords témoignant de bonnes relations entre eux. en plus de l'influence sociale et culturelle apparue du fait de la multiplicité des relations économiques et politiques.